الغاية من دراسة الأعلام

عند أهل الرواية والدراية

بقلم الدكتور

يحيى إسماعيل أحمد صبلوش

أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه

المقـــدمة :

الأعلام فى هذا الدين معلم من العالم الهدى ، ولواء من ألوية الحق فيما اختلف فيه من الأمور ، يهتدى بفعالهم ، ويقتفى آثارهم ، فحفظ حقهم بالدراسة والبيان قيام بحق من حقوق الإسلام . فإن الدخول فى الخير والبر والخروج من الشر والإثم عقبة كأداء تتحطم عندها العزائم، وتذوب أمامها الهمم، إلا عزائم وهمم الأعلام الذين أعتصموا بالله « ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم »[1].

من أجل ذلك أرسل الله الرسل لتقوم بهم على الناس الحجة بفعالهم مع أقوالهم ، ثم اتخذت الرسل من صفوة من استجاب لهم الحواريين ، لينقلوا للناس من بعدهم معالم الهدى خالصة سائغة . ثم يحملوهم بعد ذلك على سبيل الرشاد .

(لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس ، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب)[2] .

أخرج أحمد والترمذى بسند حسن عن على قال : قال رسول الله ﷺ « لم يكن نبى قط إلا وقد أعطى سبعة رفقاء نجباء وزراء ، وإنى أعطيت أربعة عشر ، حمزة ، وأبو بكر ، وعمـــر ، وعلى ، وجعفر ، وحسن ، وحسين ، وابن مسعود ، وأبو ذر ، والمقداد، وحذيفة ، وعمار ، وبلال ، وسليمان »[3] .

---

(١) آل عمران ١٠١ (٢) الحديد ٢٥

(٣) أحمد فى المسند ١/٨٨ ، ١٤٢ ، ١٤٨ ، والترمذى فى المناقب وقال حديث حسن غريب

لهذا حفل الكثير من كتب السنة بأبواب المناقب ، وكتب الفضائل ، صيانة لحقوق أصحابها ، وتيسيرا لسبيل الاقتداء فيمن بعدهم ، حتى يسهل علاج النفوس على الحق وتقويمها به .

إن فائدة دراسة الأعلام فى باب الرواية والدراية لا تنحصر فى الوقوف على تثبيت الخبر أو نفيه — فحسب — ففوائدها — له ولها — أعظم من هذا بكثير كثير ، وبخاصة أن الدراية وحدها تتعلق بكثير من العلوم .

ولقد أحسن الإمام الذهبى حين جعل تلك الدراق فى الأعلام وإن شئت قلت الفقه — على ثلاثة أنواع : فقه علم ، وفقه نفس ، وفقه بدن[1] .

ذلك أن فهم الأعلام للنصوص أبعد غوراً وأعمق نظراً ، وأدق مأخذا ممن يشركهم فى فضيلة الفقه ومزية العلم .

إنّ لهم فى النص والعبارة فطرة لا يلحقهم غيرهم فيها .

أخرج الحاكم فى المستدرك بسند صحيح عن طارق بن شهاب قال : أتانا كتاب عمر لما وقع الوباء بالشام — يعنى وباء الطاعون — فكتب عمر إلى أبى عبيدة « أن قد عرضت لى إليك حاجة لا غنى لى بك عنها ، فقطن أبو عبيدة رضى الله عنه لغرض أمير المؤمنين من فحوى عبارته ، وأدرك أن حاجة عمر إليه ليست فى غير أن يستنقذه من الوباء ، وأن فى عمر حرصاً على ذلك وفقها خاصاً يحملانه على الاجتهاد فى حديث رسول الله ﷺ « إذا سمعتم بالطاعون فى أرض فلا تدخلوها ، وإذا وقع بأرض

(١) ممن وصفهم الذهبى بأنهم فقهاء نفس حكيم بن حزام ، وممن قال فيه إنه فقيه بدن الليث بن سعد . راجع سير الأعلام ٣/٥١

وأنتم بها فلا تخرجوا منها »[1] . فكان جواب أبى عبيدة « يرحم الله أمير المؤمنين ، يريد بقاء قوم ليسوا بباقين » . ثم كتب إليه أبو عبيدة « إنى فى جيش من جيوش المسلمين ، لست أرغب بنفسى عن الذى أصابهم » .

فلما قرأ عمر الكتاب استرجع ، فقال الناس : مات أبو عبيدة ؟ فقال لا[2] .

لقد أدرك كل منهم من كتاب أخيه له ما لم يدركه غيرهما .

(١) البخارى فى صحيحه كتاب الطب باب ما يذكر فى الطاعون ١٠/٣١٩

(٢) الحاكم فى المستدرك ٣/٣٦٣ ، وقال : رواة هذا الحديث كلهم ثقات ، وهو عجيب بمرة ، وقال الذهبى : صحيح على شرط الشيخين .

قلت : ولعل الحامل للحاكم على قوله إنه عجيب بمرة ما جاء فى صحيح البخارى معارضاً له فى ظاهره عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج إلى الشام ، حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد ، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه ، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام ، قال ابن عباس : فقال لى عمر : ادع لى المهاجرين الأولين ، فدعاهم ، فاستشارهم ، وأخبرهم أن الوباء قد وقع فى الشام ، فاختلفوا ، فقال بعضهم معك بقية الناس وأصحاب رسول الله ﷺ ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال : ارتفعوا عنى ، ثم قال : ادعوا لى الأنصار ، فدعوتهم ، فاستشارهم ، فسلكوا سبيل المهاجرين ، واختلفوا كاختلافهم ، فقال : ارتفعوا عنى ، ثم قال : ادع لى من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح ، فدعوتهم ، فلم يختلف منهم عليه رجلان ، فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء . فنادى عمر فى الناس : إنى مصبح على ظهر فأصبحوا عليه ، فقال أبو عبيدة بن الجراح : أفراراً =

من هذا الفقه جاء استدراك عائشة رضى الله عنها على كثير من فتاوى الصحابه ورواياتهم ، وأدركت من خفايا فتاوى رسول الله ﷺ وأحكامه ما لم يدركه غيرها . إذ أنكرت رضى الله عنها على فاطمة بنت قيس إذاعة حكم تعلق بها، فهمت من ظاهره غير ما فهمت السيدة عائشة رضى الله عنهما . وذلك فيما أخرجه مسلم والأربعة عن الشعبى قال: دخلت على فاطمة بنت قيس فسألتها عن قضاء رسول الله ﷺ عليها فقالت طلقها زوجها البتة فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فى السكنى والنفقة ، قالت : فلم يجعل لى سكنى ولا نفقة »(١) .

فقد قال عروة — فيما أخرجه مسلم أيضا — فأتيت عائشة فأخبرتها بذلك فقالت : ما لفاطمة بنت قيس خير فى أن تذكر هذا الحديث »(٢) .

ولهذا ترجم الإمام البخارى لهذا الاستدراك بقوله: باب المطلقة إذا

= من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها، يا أبا عبيدة ، نعم، نفر من قدر الله إلى قدر الله ، أرأيت إن كانت لك إبل هبطت واديا له عدوتان ، إحداهما خصبة والأخرى جدبة ، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله ، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف — وكان متغيبا فى بعض حاجته فقال : إن عندى فى هـذا علما ، سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه ، قال : فحمد الله عمر ثم انصرف » .

ويمكن أن يجمع بينهما بأن عمر أرسل إلى أبى عبيدة رضى الله عنهما بعد انصرافه .

(١، ٢) مسلم فى صحيحة ، ك الصلاق ، ب المطلقة البائن لانفقة لها ٣/ ١٩٨ .

خشى عليها فى مسكن زوجها أن يقتحم عليها أو تبدو على أهلها بفاحشة(١) . ثم ساق لذلك حديث ابن شهاب عن عروة «أن عائشة أنكرت ذلك على فاطمة »(٢) .

أنكرت عليها — رضى الله عنها — بهذا الفقه الخاص ما فهمته فاطمة فيما تعلق بذاتها ونفسها .

وفى هذا يقول الإمام الزركشى : وفى هذا الحديث — يعنى حديث مسلم — جواز إنكار المفتى على مفت آخر خالف النص ، أو عمم ما هو خاص ، لأن عائشة أنكرت على فاطمة بنت قيس تعميمها أن لا سكنى للمبتوتة ، وإنما كان انتقال فاطمة من مسكنها لعذر من خوف اقتحامه عليها، أو لبذاءتها ، أو نحو ذلك(٣) .

وهذا باب واسع من أبواب الدراية فى تلك المسألة(٤) ، فمن الصحابة إلى التابعين ثم أتباع التابعين حتى جاء عصر أئمة المذاهب المتبوعين

(١، ٢) البخارى فى صحيحة ك الطلاق ٩ / ٣٩١ . وانظر فتح البارى ٩ / ١٧٣

(٣) الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة ١٣٥

(٤) من ذلك مثلا ما فهمه أبو بكر رضى الله عنه من قول رسول الله ﷺ فيما أخرجه أحمد فى المسند بسند صحيح «إنى الساعة لقائم على الحوض» ثم قال «إن عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة» فما فطن لها غير أبى بكر فقال : بأبى أنت وأمى، بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا قال أبو سعيد الخدرى : ثم هبط رسول الله ﷺ عن المنبر، فما رئى عليه حتى الساعة .

وبهذا الفقه سبق ابن عباس فى حداثه سنه الكثير من الصحابة فى إدراك خفايا القرآن حتى سمى ترجمان القرآن

أبو حنيفة ومالك ، والشافعى ، وأحمد بن حنبل ، الذين كانوا بفقههم أوعية لدين الله ومستودعاً له ، فسبقوا به الأقران ، وحفظ الله بفقههم — فيم حفظ — للأمة دينها . سلسلة مشبكة بالدر من الأئمة الأعلام أصحاب الفهم الدقيق والغوص العميق على المعانى البعيدة ، فكان أبو حنيفة مثلا إليه المنتهى — دون أقرانه — فى الفقه والتدقيق فى الرأى وغوامضه[1] ، وأما مالك فلم يكن بالمدينة عالم من بعد التابعين يشبهه فى العلم والفقه ، والجلالة والحفظ[2] .

وكان الشافعى : كما قال الإمام أحمد بن حنبل كالشمس للدنيا وكالعافية للناس[3] . وكان أحمد أعلم الناس بحديث الثورى الذى كان فى زمانه كأبى بكر وعمر فى زمانهما[4] .

---

(١) ولد الامام أبو حنيفة رضى الله عنه سنة ثمانين فى حياة صغار الصحابة ، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة ، قال الشافعى فيه : الناس فى الفقه عيال على أبى حنيفة . روى عن عطاء بن أبى رباح — وهو أكبر شيخ له وأفضلهم ، وعن الشعبى وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج وعمرو بن دينار ، ونافع مولى ابن عمر ، وقتادة ، وحماد بن أبى سليمان وبه تفقه ، وابن شهاب الزهرى ، وهشام بن عروة وغيرهم ، مات فى خلافة المنصور قريبا من سنة خمسين ومائة سير ٦/٣٩٠

(٢) وكان بها بعد الصحابة أمثال سعيد بن المسيب ، والفقهاء السبعة عبيد الله ، وعروة ابن الزبير ، والقاسم ، وسعيد ، وخارجة بن زيد ، وسليمان بن يسار ، ثم سالم . وعكرمة . ونافع ، وطبقتهم ، ثم زيد بن أسلم ، وابن شهاب ، ويحى بن سعيد ، وطبقتهم ، فلما تفانوا اشتهر ذكر مالك بها

(٣) ثم قال : فهل لهذين من خلف أو منهما عوض ؟ سير ١٠/٤٦

(٤) سير ١١/١٨٨ ، ٧/٢٣٩ ، وكان أقران سفيان مالك وشعبة ، وابن المبارك

وفيه يقول عبد الرزاق ما رأيت أحداً أفقه ولا أورع من أحمد بن حنبل[1] .

قال الذهبى : قال هذا وقد رأى الثورى ومالك وابن جريج[2] .

---

(١) السابق ١١/١٩٩ . وعبد الرزاق هو ابن نافع الحافظ الكبير ، عالم اليمن ، الصنعانى الثقة . حدث عن معمر ولزم ثمانى سنين ، وحجاج ابن أرطاة والأوزاعى ، وسفيان الثورى ، ومالك بن أنس . وحدث عنه شيخه سفيان بن عيينة ، وأحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين المدينى . توفى فى سنة إحدى عشرة ومئتين . سير ٩/٥٦٣ .

(٢) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، الإمام العلامة ، الحافظ شيخ الحرم ، أبو خالد ، وأبو الوليد ، القرشى ، الأموى ، المكى ، أول من دون العلم بمكة .

حدث عن عطاء بن أبى رباح فأكثر وجود ، وعن نافع مولى ابن عمر ، وطاووس حديثاً واحداً — مسألة قالها طاووس — وجعفر الصادق ، وإسماعيل بن علية ، ومعمر بن راشد ، ويحيى بن أيوب المصرى ، وكان من بحور العلم .

حدث عنه الأوزاعى ، والليث ، والسفيانان ، والحمادان ، وابن عليه ويحيى بن سعيد القطان ، وعبد الرازق بن همام .

روى عبد الرزاق عنه أنه قال : اختلفت إلى عطاء ثمانى عشرة سنة وكان يبيت فى المسجد عشرين سنة . وقال ابن عيينة . سمعت ابن جريج يقول : ما دون العلم تدوينى أحد . وقال : جالست عمرو بن دينار بعد ما فرغت من عطاء تسع سنين . قال فيه يحيى بن سعيد إنه أثبت من مالك فى نافع وروى الميمونى عن أحمد قال : إذا قال ابن جريج « قال » فاحذره ، وإذا قال « سمعت أو سألت » جاء بشىء ليس فى النفس منه شىء ، كان من أوعية العلم

فمن هذا الفقه جاءت — وتأتى الأحكام السديدة ، ومنه تتولد دائما المعانى الرقيقة ، وبه تظهر للحياة الأخلاق العالية الرفيعة مع البصيرة النافذة التى تجعل أصحابها أهلا للأسوة والاقتداء ، ويصان بفقهم فقه الفقهاء.

أخرج ابن سعد بسند صحيح عن أبى لبيد قال : ما كنا نشبه كلام أبى موسى إلا بالجوار الذى ما يخطىء المفصل[1] .

أما فقه النفس فهو استقامة طبعها بضبط غرائزها ، وترويض أصحابها لمنازعها ضبطاً وترويضاً يحفظ للذهن صفاءه ، وللخواطر هدوءها فتأتى الأحكام من أصحابها دقيقة ، والمواقف عادلة ، والأقوال نظيفة فاصلة .

من هذا ما أخرجه أحمد عن ربيعة الأسلمى قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ ، فأعطانى أرضاً ، وأعطى أبا بكر أرضاً ، وجاءت الدنيا ،

= وقال الذهبى : قد كان شيخ الحرم بعد الصحابة عطاء ، ومجاهد ، وخلفهما قيس بن سعد ، وابن جريج ، ثم تفرد بالإمامة ابن جريج فدون العلم ، وحمل عنه الناس ، وعليه تفقه مسلم بن خالد الزنجى ، وتفقه بالزنجى الإمام أبو عبد الله الشافعى ، وكان الشافعى بصيراً بعلم ابن جريج ، عالماً بدقائقه ، وبعلم سفيان بن عيينة .

قال ابن جريج : لم أسمع من الزهرى ، إنما أعطانى جزءاً كتبه وأجازه لى .

مات رضى الله عنه سنة خمسين ومئة .

طبقات خليفة ٢٨٣ ، تاريخ البخارى ٤٢٢/٥ ، الجرح والتعديل ٣٥٦/٥ ، سير ٣٢٥/٦ .

(١) الطبقات الكبرى ١١١/٤ .

فاختلفنا فى عذق نخلة ، فقلت أنا : هى فى جدى — أى حظى — ، وقال أبو بكر هى فى جدى ، فكان بينى وبين أبى بكر كلام ، فقال لى أبو بكر كلمة كرهتها ، وندم عليها ، وقال لى يا ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصاً ، فقلت ما أنا بفاعل ، قال أبو بكر : لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله ﷺ . فقلت ما أنا بفاعل . قال : ورفض الأرض ، وانطلق أبو بكر إلى النبى ﷺ وانطلقت أتلوه ، فجاء ناس من أسلم فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ، فى أى شىء يستعدى عليك رسول الله ﷺ وهو الذى قال لك ما قال ؟

قال : فقلت أتدرون ما هذا ؟ هذا أبو بكر الصديق ، هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شيبة المسلمين ، أتاكم لا يلتفت فيراكم تنصرونى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله فيغضب لغضبه ، فيغضب الله لغضبهما ، فتهلك ربيعة . قالوا : ما تأمرنا ؟ قال ارجعوا . وانطلق أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فتبعته وحدى حتى أتى رسول الله فحدثه الحديث كما كان ، فرفع إلى رأسه فقال « يا ربيعة مالك وللصديق ؟ قلت : يا رسول الله كان كذا وكذا ، قال لى كلمة كرهتها فقال لى قل كما قلت حتى يكون قصاصاً ، فأبيت .

فقال رسول الله ﷺ « أجل ، فلا ترد عليه ، ولكن قل غفر الله لك يا أبا بكر » فقلت غفر الله لك يا أبا بكر ، فولى أبو بكر وهو يبكى[1] .

مثال فى فقه النفس ، فذ لا يدانيه إلا ما كان من موقف خصمه منه — ربيعة الأسلمى — أن تأبى عليه نفسه أن تخرجه خصومته لأبى بكر عن حد الاعتدال فى تقدير الموقف وتقييم الخصومة .

---

(١) أحمد فى فضائل الصحابة ٣٣٤/١ ، وقال محققه إسناده صحيح .

إن من شأن هذا الفقه أن يولد فى أصحابه من الفضائل النفسية ما يجعل من أعمالهم ومواقفهم أسوة ومثلا للآخرين ، ويدع الحكمة تنطق على لسانه بغير منازعة ولا ممانعة من النفس وتقلباتها .

أخرج الطبرانى بإسناد حسن عن الشعبى قال قال على على المنبر «ما كنا نعد أن السكينة تنطق على لسان عمر»[1] .

ولقد دخل عمر رضى الله عنه على ابنه عاصم وهو يأكل لحما فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا إليه فقال عمر : أو كلما قرمت إلى شىء أكلته ؟ أكفى بالمرء سرفا أن يأكل كل ما يشتهى[2] .

مثل هذه النظرة الدقيقة من عمر لابنه رضى الله عنهما — وهو فى منصب الخلافة ومثل هذا التوجيه الرشيد لا يصدران إلا من نفس فقيه .

ومن ذلك أيضا ما جاء على لسان عمرو بن العاص رضى الله عنه :

إذا المرء لم يترك طعاما يحبه ولم ينه قلباً غاوياً حيث يمما
قضى وطراً وغادر سبة إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما

مثل هذا الفقه فوق أنه يحفظ للنفس هدوءها فإنه يضمن للدول استقرار أمرها ، وذلك بسلامة نفوس أبنائها ، فتجتمع بذلك الهمم ، وتنبعث للغاية التى خلقت لها بهمة ونشاط .

وهو فقه لا يتأتى لغير النفوس النقية .

أخرج أحمد بسند صحيح عن عوف بن مالك الأشجعى أنه قال : رأيت فى المنام كأن الناس جمعوا ، فكأتى برجل قد فرعهم بثلاثة أذرع

(١) مجمع الزوائد ٦٧/٩ .
(٢) تاريخ الإسلام ٢٦٨/٢ والقرم شدة الشهوة إلى اللحم خاصة .

قال : قلت من هذا ؟ قالوا عمر بن الخطاب ، قال : قلت لم ؟ قال : إنه لا تلومه فى الله لومة لائم ، وإنه خليفة وشهيد مستشهد ، قال : فاتيت أبا بكر فقصصته عليه ، قال فأرسل إلى عمر يبشره ، فقال لى : أقصص رؤياك ، فلما بلغ إلى (خليفة) زبرنى عمر ، وانتهرنى ، قال : تقول هذا وأبو بكر حى ؟ قال : فسكت ، فلما ولى عمر كان بعد بالشام مررت وهو على المنبر ، فدعانى ، فقال لى اقصص رؤياك ، قال: فلما بلغت (ولا يخاف فى الله لومة لائم) قال : إنى لأرجو أن يجعلنى الله منهم ، وأما خليفة مستخلف فقد والله استخلفنى فأسأله أن يعينى على ماولانى ، قال : فلما بلغت (وشهيد مستشهد) قال : وأنى الشهادة وأنا فى جزيرة العرب وحولى يغزون ؟ ! ثم قال : (يأتى الله بها أنى شاء) مرتين[1] .

وقد جاءته رضى الله عنه الشهادة وفق ما تمنى . وما أعجبه من فقه نفس يحمل صاحبه على أن يحفظ لأخيه حقه فى السبق ، ويغار عليه من رؤيا رآها عوف بن مالك رضى الله عنهم أجمعين .

ولعل هذا كان الحامل لعبد الله بن مسعود على أن يقول فى عمر رضى الله عنهما «والله لو أن عمر أحب كلبا لأحببت ذلك الكلب»[2] .

ذلك أن الحب والبغض من أمثال هذه النفوس لا مدخل للهوى فيهما ولا تأثير .

وهذا هو فقه النفس فى أبهى صوره وأزهى معانيه ، وهو ما سنعرض إن شاء الله لفوائده فى باب التزكية والتربية والأخلاق .

(١) فضائل الصحابة ٢٦٧/١
(٢) السابق ٢٦٧/١

وأما فقه البدن فهو سلامته من المعوقات والآفات التى تقعد بصاحبه عن النهوض للواجبات والمسارعة للمكارم.

ولقد كان جميع أصحاب رسول الله ﷺ أصحاب حظوظ وافرة منه، إذ أسلموا جميعاً وهم أشد ما يكونون فتوة وشباباً، وإقبالاً على هذا الدين.

أخرج البخارى فى صحيحه عن أنس بن مالك أن النبى ﷺ قدم المدينة وليس فى أصحابه أشمط غير أبى بكر، فغلفها بالحناء والكتم[1] وبهذه القوة البدنية المجتمعة على فتوة الإيمان ضرب رسول الله ﷺ كيد الباطل وأجهز عليه.

أخرج ابن كثير عن يحيى بن يحيى الغسانى، يحدث عن رجلين من قومه قالا: لما نزل المسلمون بناحية الأردن تحدثنا بيننا أن دمشق ستحاصر فذهبنا نتسوق منها قبل ذلك. فبينما نحن فيها إذ أرسل الينا بطريقها، فجئناه، فقال: أنتما من العرب؟ قلنا نعم، قال: وعلى النصرانية؟ قلنا نعم، فقال: ليذهب أحدكما فليتجسس لنا عن هؤلاء القوم ورأيهم، وليثبت الآخر على متاع صاحبه، ففعل ذلك أحدنا، فلبث مليائم جاء فقال: جئتك من عند رجال دقاق، يركبون خيولا عتاقا، أما الليل فرهبان وأما النهار ففرسان، يريشون النبل ويبرونها، ويثقفون القنا، لو حدثت جليسك حديثا ما فهمه عنك لما علا من أصواتهم بالقرآن والذكر. قال: فالتفت إلى أصحابه وقال: أناكم منهم ما لا طاقة لكم به[2].

---

(١) البخارى فى صحيحه ك المناقب ب هجرة النبى ﷺ إلى المدينة ٢١٢/٤

(٢) البداية والنهاية ١٥/٧، كما أخرجه ابن عساكر بنحوه ١٤٣/١، ومعنى يريشون أى يصلحون، والتثقيف هو التقويم.

ولقد كان رسول الله ﷺ يرعى دائما هذا الفقه فيهم ويستثير فيهم دواعى المسابقة اليه والحرص عليه، وذلك حتى يستقيم عودهم مع بواطنهم على معانقة الشدائد وتشب قلوبهم على مسابقة النوازل. فقد أخرج البخارى فى صحيحة وأحمد فى مسنده عن سلمة بن الأكوع قال: خرج رسول الله ﷺ على قوم من أسلم وهم يناضلون فى السوق فقال (إرموا يا بنى اسماعيل فإن أباكم كان راميا[1].

فى هذا وغيره يقول سفيان الثورى: الحكايات جند من جنود الله يثبت الله بها قلوب أوليائه[2].

إن الحكايات التى يعنيها سفيان ليست سرد القصص اللاهى والأخبار المرسلة، إنما يعنى بها — فيما أرى — الأخبار الموثقة التى يستعان بذكرها على الاهتداء للحق، ويستدل بها على الترجيح والإبانة عند الاختلاط وحدوث العمايه، وذلك لأن شعائر الوحى يسرى دائما فى ثنايا أحوالهم ودقائق ألفاظهم، فيحيل من فعالهم وأعمالهم معالم للهدى واضحة.

---

(١) البخارى فى صحيحة ك الجهاد ب التحريض على الرى ٤٥/٤، وأحمد فى المسند ٥٠/٤، وابن ناصر فى ك الجهاد ب الرمى فى سبيل ٩٤٠/٢

(٢) ترتيب المدارك ٢٣/١

وسفيان الثورى هو شيخ الإسلام وإمام الحفاظ ابن سعيد بن مسروق، عداده فى صغار التابعين. قال فية بشر الحافى: كان الثورى عندنا إمام الناس، وهو فى زمانه كأبى بكر وعمر فى زمانهما، وقال فية ابن عيينة أصحاب الحديث ثلاثه، ابن عباس فى زمانه، والشعبى فى زمانه، والثورى فى زمانه كما قال فية الذهبى: كان رأسا فى الزهد، والتأله، والخوف =

إن خلف عبارة سفيان الثورى معانى جمة ، قصدنا بدراستنا هذه إبراز ما أفاء الله به علينا فيها ، وبخاصة فيما يتعلق منها بفرعى الرواية والدراية فى أبواب العلم الشريف ، فإنه لا يكاد يخلو فرع من فروع العلم من دخولهم فية وضربهم بسهم وافر لديه، راجين أن ينفع الله به، ويجعله فاتحة خير لبحث أكبر فية (وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

= رأساً فى الحفظ فى معرفة الآثار ، رأساً فى الفقة ، لا يخاف فى الله لومة لائم .

مات سنة إحدى وستين ومائة . سير ٧ / ٢٢٩

فوائد دراسة الأعلام

فى باب الرواية والدراية

أولا : فى باب الرواية :

١ — تحديد مكان وصور التحمل ، ومن أمثلة ذلك ماذكره ابن سعد فى الطبقات الكبرى فى محمد بن اسحاق : كان ابن اسحاق أول من جمع مغازى رسول الله ﷺ ، وخرج من المدينة قديما فلم يرو عنه أحد منهم غير ابراهيم بن سعد ، وكان مع العباس بن محمد بالجزيرة[1] ، فكتب له المغازى، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وسمع منه أهل الرى ، فرواته من هؤلاء البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة[2].

وقد كان مالك بن أنس وعبيد الله بن عمر ممن لزما الزهرى طويلا حتى قال مالك فى ذلك «لزمت الزهرى حتى اتخذت سراويل محشوة» ، وكان عبيد الله هو الذى يتولى القراءة على الزهرى فى مجالس العلم بالمدينة وجميع ماسمع أهل المدينة من الزهرى كان بقراءته ، ومع هـذا فإنهما لا رواية لهما عنه بمكة مع لقيهما به فيها .

---

(١) مابين دجلة والفرات .

(٢) الطبقات الكبرى ٧/٣٢١، ومحمد بن اسحاق هو العلامة الإخبارى الحافظ أبو بكر ، ولد سنة ثمانين، ورأى أنس بن مالك بالمدينة، وسعيد ابن المسيب ، قال فيه شعبة ، أمير المؤمنين فى الحديث ، وروى حرملة عن الشافعى قال : من أراد أن يتجر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحاق، مات سنة خمس ومائة ،

قال سفيان : رأيت مالك بن أنس ، وعبيد الله بن عمر أتيا الزهرى بمكة ، فكلماه يعرضان عليه ، فقال الزهرى : إنى أريد المدينة ، وطريق عليكما تأتيان إن شاء الله ، قال : وكان عبيد الله هو المتكلم ، ومالك معه ساكت ، ولم يسمعا عليه بمكة شيئا(١) .

وبذلك يكون جميع ما سمع أهل المدينة من الزهرى بها كانت بقراءة عبيد الله بن عمر ، كما ذكر الذهبى ، ولم يسمع عليه بمكة مالك ولا عبيد الله بن عمر(٢) .

وكذلك كانت رواية ابن جريج عن الزهرى إجازة ، وذلك وفق بيانه فى قوله : لم أسمع من الزهرى ، إنما أعطانى جزءاً كتبه ، وأجازه لى(٣) .

---

(١) سير ٣٤٢/٥ ، وعبيد الله هو ابن عمر بن حفص بن عاصم بن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ، ولد بعد السبعين ، ولحق أم خالد بنت خالد الصحابية ، وسمع منها ، فهو من صغار التابعين ، وسمع من سالم ابن عبد الله ، والقاسم بن محمد ، ونافع ، وعطاء بن أبى رباح ، وعمرو بن شعيب ، والزهرى ، وعمرو بن دينار ، ووهب بن كيسان ، وخلق ، وعنه ابن جريج ، ومعمر ، وشعبة ، وسفيان ، وحماد بن سلمة ، وابن المبارك ، وعبد الرزاق ، وأمم سواهم ، قال فيه ابن معين : عبيد الله بن عمر عن القاسم عن عائشة الذهب المشبك بالدر ، مات رضى الله عنه سنة سبع وأربعين ومائة .

(٢) السابق ٣٠٤/٦

(٣) السابق ٣٣٢/٦ ، وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، أول من دون العلم بمكة ، رواياته وافرة فى الكتب الستة ومسند أحمد ومعجم الطبرانى الأكبر . حدث عن عطاء بن أبى رباح فأكثر وجود ، ونافع مولى ابن عمر ، وطاووس — حديثا واحدا — مات سنة خمسين ومائة .

وكان أبو اليمان الحكم بن نافع إذا ذكر صفوان بن عمرو يقول حدثنا صفوان ، وإذا ذكر أبا بكر بن أبى مريم يقول حدثنا أبو بكر ، وإذا ذكر شعيب بن أبى حمزة قال أخبرنا شعيب ، فلما سئل فى ذلك قال : مرض شعيب مرضه الذى مات فيه ، فأتاه اسماعيل بن عياش وبقية بن الوليد ، ومحمد بن حمير فى رجال من أهل حمص — أنا أصغرهم — فقالوا : كنا نحب أن نكتب عنك ، وكنت تمنعنا ، فدعا بقفة له ، فقال : ما فى هذه إلا ما سمعته من الزهرى ، وكتبته ، وصححته ، فلم يخرج من يدى ، فإن أحببتم فاكتبوها ، قالوا : فنقول ماذا ؟ قال : تقولون أبنأنا شعيب ، وأخبرنا شعيب وإن أحببتم أن تكتبوها عن ابنى فقد قرأتها عليه(١) .

---

(١) سير ١٨٧/٧ : ١٩٢

وأبو اليمان هو الحكم بن نافع ، الحافظ ، الإمام ، الحجة ، ولد فى حدود سنة بضع وثلاثين ومائة .

روى عن ابن مهدى سعيد بن سنان ، وشعيب بن أبى حمزة ، واسماعيل ابن عياش ، وطائفة ، حدث عنه فيمن حدث أحمد ، وابن معين ، وعمرو ابن منصور والنسائى ، والبخارى ، والدرامى ، وأبو حاتم ، والترمذى ، وأبو زرعة الدمشقى ، وكان قد ترك الرواية عن مالك لأمر لا يزهد فى الرواية ، ثم ندم على ذلك : قال فيما ذكره المزى عن محمد بن عيسى الطرسوسى سمعت أبا اليمان يقول : صرت إلى مالك فرأيت ثم من الحجاب والفرش شيئاً عجيباً ، فقلت : ليس ذا من أخلاق العلماء ، فضيت وتركته ، ثم ندمت بعد ، ولد سنة ثمان وثلاثين ومائة ، ومات سنة اثنتين وعشرين ومائتين ، الطبقات الكبرى ٤٧٢/٧

وشعيب بن أبى حمزة ، الإمام الثقة المتقن ، الحافظ ، الحمصى ، سمع الزهرى فأكثر ، ونافعاً ، وعكرمة بن خالد ، وأبا الزناد ، وعدة ، وعنه بقية ، والوليد بن مسلم ، وأبو اليمان ، وغيرهم ، كان عنده عن =

قال الذهبي : فعامة ما يرويه أبو اليمان عن شعيب بالإجازة ، ويعبر عن ذلك بـ « أخبرنا » ، وروايات أبي اليمان عنه ثابتة في الصحيحين ، وذلك بصيغة أخبرنا ، قال : ومن روى شيئاً من العلم بالإجازة عن مثل شعيب بن أبي حمزة في إتقان كتبه وضبطه فذلك حجة عند المحققين، مع إشتراط أن يكون الراوي بالإجازة ثقة ، ثبتاً أيضاً ، فتى فقد ضبط الكتاب المجاز ، وإتقانه ، وتحريره ، أو إتقان المجيز ، أو المجاز له، إنحط المروى عن رتبة الاحتجاج به ، ومتى فقدت الصفات كلها لم تصح الرواية عند الجمهور .

قال : وشعيب — رحمه الله — فقد كانت كتبه نهاية في الحسن ، والإتقان ، والإعراب ، وعرف هو ما يجيز ، ولمن أجاز ، بل رواية كتبه بالوجادة كاف في الحجة ، وفي رواية أبي اليمان عنه بذلك دليل على إطلاق « أخبرنا » في الإجازة ، كما يتعاناه فضلاء المحدثين بالمغرب ، وهو ضرب من التدليس ، فإن يوهم أنه بالسماع[1] .

٢ — تحديد جهة الضعف فيما رمي به الراوي من الأعلام ، ومن ثم يمكن إعادة تقييم أمره فيه .

فشهر بن حوشب — مثلا — مختلف فيه على الجملة عند عامة المحدثين، وبالتدقيق في أمره تبين أن سبب طعن من طعن فيه يرجع إلى ما رواه عن أم سلمة أن النبي ﷺ قرأ — (إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي) — قال الذهبي : فهذا ما استنكر من حديث شهر في سعة روايته ، وما ذاك بالمنكر جداً[2] .

= الزهري نحو ألف وسبعمائة حديث ، مات سنة اثنتين وستين ومائة ، سير ١٨٧/٧

(١) سير ٩٠/٧ (٢) السابق ٣٧٨/٤ =

قلت : لأنها قراءة تفسيرية — كما ذكر ابن النحاس — ، قرأها شهر كما قرأها غيره على سبيل التفسير ، بيد أن شده التحري للرواية حمل المتشددين من النقاد على تضعيفه بسبب ذلك ، ومع زحمة الرواة وتوفر التراجم عد الرجل — في عداد المختلف فيه — على إمامته ، وذلك راجع عندي إلى غياب هذا السبب .

٣ — إدراك الخوافي من مراد كلام غيرهم من الأئمة فيهم ؛ فيحيى ابن سعيد شيخ عالم المدينة قال فيه علي ابن المديني : له نحو من ثلاثمائة حديث .

وبغير الدراسة المستوعبة لأمره ما استطاع الذهبي أن يقول هذا القول : فكأنه عنى المسند من حديثه ، أو الذي اشتهر له[1] .

وفي عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الملقب بالماجشون وهو

= وشهر بن حوشب هو مولى الصحابية أسماء ، كان من كبار علماء التابعين ، حدث عنها وعن أبي هريرة وعائشة ، وابن عباس وابن عمرو ، وأم سلمة ، وأبي سعيد الخدري ، وعدة ، توفي إما سنة مائة أو مائة وإحدى عشرة .

وانظر الطبقات الكبرى ٤٤٩/٧ ، طبقات خليفة ، تاريخ البخاري ٢٥٨/٤ ، تهذيب التهذيب ٣٦٩/٥ ، وغيرها .

(١) سيره/٤٧٥ . ويحيى بن سعيد كان عالم المدينة في زمانه ، سمع من أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، والقاسم بن محمد ، وابن شهاب ، وروى عنه ابن شهاب مع تقدمه ، وشعبة ، ومالك ، وعبد العزيز ابن الماجشون ، والحمادان ، والأوزاعي والليث ، وابن المبارك . وهو صاحب حديث « الأعمال بالنيات » ، وعنه اشتهر . مات سنة ثلاث وأربعين ومائة .

الإمام غير المدفوع عن رتبة الإمامة فى الرواية والصدارة فى الفتوى قد قال فيه بشر بن السرى إنه لم يسمع من الزهرى .

وقبول هذا القول بغير تحقيق يضر برواية الشيخ ، فإنه ممن حدث عن الزهرى . وبهذا التحقيق أمكن لابن سفان أن يدرك المراد بقول بشر فقال : معناه عندى أنه عرض ، فإسناده إلى الزهرى إسناد متصل[١] .

وفى موسى بن عقبة الإمام الثقة أول من صنف فى المغازى جاء عن ابن معين أنه كان يضعف بعض الضعف[٢] .

وفى ذلك يقول الذهبى : قد روى عن عثمان الدورى وجماعة عن يحيى توثيقه ، فليحمل هذا التضعيف على معنى أنه ليس هو فى القوة عن نافع كمالك ولا عبيد الله[٣] .

وكثيراً ما يضعفون الرجل بالنسبة إلى غيره ممن هو أثبت من أقرانه[٤] .

---

(١) عبد العزيز الماجشون هو والد المفتى عبد الملك صاحب مالك ، حدث عن الزهرى ، وهشام بن عروة ، ويحيى بن سعيد ، لم يكن بالمكثر من الحديث — كما ذكر الذهبى — لكنه فقيه النفس فصيح اللسان . سير ٣٠٩/٧ والعرض هو القراءة على الشيخ حفظاً أو من كتاب . الباعث الحثيث ١١٠ : ١٢٣ .

(٢) سير ١/٧/٦ . وموسى بن عقبة مولى آل الزبير ، ويقال مولى الصحابية أم خالد بنت خالد الأموية ، زوجة الزبير ، كان بصيراً بالمغازى النبوية أدرك ابن عمر ، وجابراً ، وعداده فى صغار التابعين .

(٣) السابق (٤) إعلاء السنن ١٦١/١

٤ — بها تتضح قواعد فى القبول والرد تغنى عن طول التتبع فى الرجال والأسانيد .

فيحيى بن معين كان يقدم مالكاً على أصحاب الزهرى ، ثم يليه معمر ، ثم يونس ، وكان القطان يقدم ابن عيينة على معمر[١] .

ومع هذا فقد جاء عن يحيى : إذا حدثك معمر عن العراقيين فخلافه إلا عن طاووس والزهرى ، فإن حديثه عنهما مستقيم ، فأما أهل الكوفة فلا[٢] .

وسبب ذلك — فيما ذكر الذهبى — أنه لما قدم البصرة لزيارة أمه فإنه لم يكن معه كتبه ، فحدث من حفظه ، فوقع للبصريين عنه أغاليط[٣] .

وفيمن روى عنه مالك يقول ابن معين ، كل من روى عنه مالك ثقة إلا عبد الكريم أبا أمية[٤] وكذلك من روى عنه ابن أبى ذئب كلهم ثقة إلا أبا جابر البياضى[٥] .

---

(١) فعن عثمان بن أبى شيبة سألت يحى القطان من أثبت فى الزهرى؟ قال مالك ، ثم ابن عيينة ثم معمر .

(٢) سير ١٢٤/٧ (٣) السابق

(٤) روى عن مالك والسفيانان وحماد بن سلمة ، كان ضعيف الحديث ٨٣/٦٠ قال ابن عبد البر فيه اعتر مالك بسكانه فى المسجد وروى عنه فى الفضائل .

(٥) ابن أبى ذئب هو الإمام ، شيخ الإسلام ، المدنى ، الفقيه ، محمد ابن عبد الرحمن بن المغيرة ، بن الحارث ، بن أبى ذئب ، هشام بن شعبه ؛ كان يشبه بسعيد بن المسيب ، وهو أقدم لقياً للكبار من مالك ، وكان أحد يقدمه على مالك فى الفقه ، ويقدم مالكا عليه فى تنقيه الرجال ، فكانا عالما المدينة فى زمانهما . مات سنة ثمان وخمسين ومائة . سير ١٣٩/٧

٥ — إدراك التفاوت فى أقدار المتشابهين فى الطبقة والرتبة .

فالزهرى ليس فى أصحابه مثلا مثل مالك وصالح بن كيسان ويونس بن يزيد ومعمر بن راشد ، بيد أنهم فيه على علو مكانتهم ليسوا سواء .

قال ابن معين : ليس فى أصحاب الزهرى أثبت من مالك ، ثم صالح ابن كيسان ، ثم معمر ، ثم يونس[1] .

ويحيى بن سعيد القطان مقدم عند العجلى على الزهرى ، لأن الزهرى اختلف عليه ، ويحيى لم يختلف عليه[2] .

---

(١) الزهرى هو محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، الإمام ، العلم ، حافظ زمانه ، روى عن ابن عمر ، وجابر بن عبد الله ، وأنس ، وسعيد بن المسيب ، وجالسه ثمان سنوات ، وتفقه به . قال ابن المدينى : له نحو من ألفى حديث ، مات رضى الله عنه سنة أربع وعشرين ومائة .

وصالح بن كيسان هو الامام الحافظ ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز ، رأى عبد الله بن الزبير ، وابن عمر ، وقال ابن معين إنه سمع منهما ، حدث عن عروة ، وابن هرمز الأعرج ، وسالم بن عبد الله ، ونافع بن جبير ونافع مولى ابن عمر ، ونافع مولى أبى قتادة ، والقاسم بن محمد ، كان جامعا بين الحديث والفقه والمروءة ، مات بعد الاربعين ومائه .

ومعمر بن راشد هو شيخ الإسلام ، نزيل اليمن .

ويونس ابن زيد الإمام مولى معاوية بن أبى سفيان ، صحب الزهرى ثنتى عشرة سنة ، كان ابن المبارك يقول ، كتابه صحيح ، احتج به أرباب الصحاح ، مات بصعيد مصر سنة اثنتين وخمسين ومائة .

(٢) سير ٥/٤٧٥ ، ويحيى بن سعيد سبق

وكان أحمد يلين ابن أبى ذئب فى الزهرى ، لأن لم يبين سماعه من الزهرى أعرض هو أم قراءة عليه .

قال الذهبى : فإنه ليس بالمجود فى الزهرى[1] .

كذلك عبد الملك بن عمير وسماك من حرب ، عبد الملك اختلف عليه الحفاظ ولم يختلف على نظيره سماك بن حرب ، وكلاهما روى عنهم شعبة والثورى ، وحماد بن سلمة ، وأبو عوانه ، مع أن سماك كان أقل حديثا من عبد الملك ، كان حديث سماك مائتى حديث . وحديث عبد الملك خمسمائة ، بيد أنه غلط فى كثير منها[2] .

---

(١) السابق ٧/١٤٥

(٢) السابق ٥/٤٣٩، ٢٤٥ . وسماك بن حرب ، الحافظ ، الإمام الكبير أبو المغيرة ، الذهلى ، الكوفى ، حدث عن ثعلبة بن الحاكم الليثى وابن الزبير والنعمان بن بشير ، وجابر بن سمرة ، والضحاك بن قيس ، وأنس ابن مالك ، ثم عن عكرمة — وهو مكثر عنه — وعبد الرحمن بن مسعود ، وسعيد بن جبير ، وابراهيم النخعى — والحسن البصرى ، والشعبى ، وخلق ، وكان من جلة الحجة ببلده .

حدث عنه من غير من ذكرنا : زهير بن معاوية ، ومالك بن مغول ، والأعمش مات سنة ثلاث وعشرين ومائة .

وعبد الملك بن عمير القرشى الحافظ — ويعرف بالقبطى — رأى عليا وأبا موسى الأشعرى ، وحدث عن جندب البجلى ، وجابر بن سمرة ، والنعمان بن بشير ، وجرير بن عبد الله البجلى ، وأبى برده بن أبى موسى وعمرو بن ميمون الأودى ، وخلق من الصحابة وكبار التابعين ، وعمر طويلا ، وصار مسند أهل الكوفة .

ممن حدث عنه سعر ، وهشيم ، وزائدة ، وشهر بن حوشب . مات رضى الله عنه سنة ست وثلاثين مائة ،

قال أحمد : سماك بن حرب أصلح حديثا من عبد الملك بن عمير . وذلك أن عبد الملك يختلف عليه الحفاظ[١] .

ولأن مسعرا كان شكاكا فى حديثه فإنه صادف من العلماء من قدمه على أقرانه سفيان الثورى وشعبة .

قال أبو زرعة الرازى : سمعت أبا نعيم يقول : مسعر أثبت ، ثم سفيان ثم شعبة ، هذا مع ماذاع عن شعبة أنه أمير المؤمنين فى الحديث ، وأنه لولاه لما عرف الحديث بالكوفة[٢] .

وقتادة بن دعامة السدوسى روى عنه أئمة الإسلام ، فقد روى عنه أيوب السختيانى ، وسعيد بن أبى عروبة ، ومعمر بن راشد ، والأوزاعى ، وشعبة بن الحجاج ، وحماد بن سلمة ، وأبو عوانة الوضاح . . وغيرهم ، بيد أن أصحابه الذين هم حجة فيه عند جميع أهل العلم بالحديث إذا خالفهم فيه غيرهم ثلاثة : شعبة ، وهشام الدستوائى ، وسعيد ابن أبى عروبة[٣] .

---

(١) سير ٤٣٩/٥

(٢) السابق ٢٠٦/٧ ومسعر هو ابن كدام بن ظهير ، الإمام ، شيخ العراق ، الكوفى ، الحافظ . روى عن قتادة بن دعامة ، والحكم بن عتيبه ، وسفيان بن عيينة ، ويحيى القطان ، ويزيد بن هارون ، ووكيع وخلق سواهم

قال فيه يحيى بن سعيد : ما رأيت أحداً أثبت من مسعر ، وشك مسعر كيقين غيره ، كان عنده ألف حديث ، توفى سنة خمس وخمسين ومائة

(٣) قتادة بن دعامة روى عن أنس بن مالك ، وسعيد بن المسيب ، =

قال ابن عبد البر : فإن اتفقوا لم يعرج على من خالفهم فيه[١] .

وكان هشام والأوزاعى من أصحاب يحيى بن أبى كثير ، لكن أبا حاتم وأبا زرعة كانا يقدمان هشاماً على الأوزاعى ، لأن الأوزاعى ذهبت كتبه[٢] .

= وعكرمة مولى ابن عباس . والحسن البصرى ، وعطاء بن أبى رباح ، وشهر ابن حوشب ، ومحمد بن سيرين ، وخلق كثير ، جالس الحسن ثنتى عشرة سنة ، كان من أوعية العلم ، وممن يضرب به المثل فى قوة الحفظ .

قال فيه ابن المسيب : ما أتانى عراقى أحفظ من قتادة ، مات رضى الله عنه سنة سبع عشرة ومائة .

قلت : ومع مكانة هشام الدستوائى فيه فإن الإمام الذهبى أغفل ذكره فيمن روى عنه ، راجع السيره / ٢٧٠

وهشام هو الحافظ الحجة ، الإمام البصرى ، الثقة الثبت ، كان أروى الناس عن ثلاثة ، قتادة ، وحماد بن أبى سليم ، ويحيى بن أبى كثير ، حديثه فى الدواوين كلها إلا الموطأ ، مات سنة أربع وخمسين ومائة ، سير ١١٩/٧

(١) التمهيد ٢٧٦/١٤

(٢) سير ١٥١/٧ ، ويحيى بن أبى كثير الإمام الحافظ ، أحد الأعلام ، أبو نصر الطائى ، روى عن أنس بن مالك وأبى سلمة بن عبد الرحمن ، وعكرمة ، ونافع ، قال فيه أبو حاتم : هو إمام لا يروى إلا عن ثقة ، توفى سنه تسع وعشرين ومائة ، الطبقات الكبرى ٥٥٥/٥ ، سير ٢٧/٦ ، التهذيب ٢٦٨/١١

٦ — الترجيح بالخصائص والمواقف بين المتشابهين فى الأسماء ، والرتبة والطبقة .

فحماد بن سلمة وحماد بن زيد قد اشتركا فى الرواية عن كثير من المشايخ ، وروى عنهما جميعاً جماعة من المحدثين : وربما روى الراوى عن واحد منهما ولا ينسبه ، فلا يعرف أى الحمادين هو إلا بقرينة ، وذلك مثل أن يعرف المختص بالإكثار عنه ، وعادة من يروى عنه ، وخصائص الرواة فى كل .

فالذين اختصوا بالإكثار والرواية عن حماد بن سلمة — مثلا — بهز بن أسد ، وحبان بن هلال ، والحسن الأشيب ، وعمر بن عاصم ، وكان موسى التبوذكى راوية ابن سلمة .

والمختصون بحماد بن زيد الذين ما لحقوا ابن سلمة فهم أكثر وأوضح كما ذكر الذهبى — منهم على بن المدينى ، وأحمد بن عبده ، وأحمد بن المقدام ، وبشر بن معاذ العقدى ، وخالد بن خداش ، وخلف بن هشام ، وزكريا بن عدى ، وسعيد بن منصور ، وأبو الربيع الزهرانى ، والقواريرى ، وعمرو بن عون ، وقتيبة بن سعيد ، ومحمد بن أبى بكر المقدمى ، ولوين ، ومحمد بن عيسى بن الطباع ، ومحمد بن عبيد ، ومسدد ، ويحيى بن حبيب .

ومن القرائن فى الترجيح بينهما بالأعلام أن عفان بن مسلم الذى سمع منهما كان من عادته أنه لا يروى عن حماد بن زيد إلا وينسبه ، وربما روى عن حماد بن سلمة فلا ينسبه ، وكذلك يفعل حجاج بن منهال ، وهدبة ابن خالد .

وعلى العكس من هؤلاء سليمان بن حرب وعارم ، ينسبان ابن سلمة ويدعان ابن زيد[1] .

ويقع مثل هذا الإشتراك فى السفيانين[2] ، إلا أن الخطب فى ذلك أيسر

---

(١) سير ٢٦٤/٧ ، وحماد بن سلمة شيخ الإسلام ، البصرى ، ابن أخت حميد الطويل ، كان بحراً من بحور العلم ، كان إماماً فى الحديث ، والعربية ، فقيها ، رأساً فى السنة .

قال ابن المدينى : لم يكن فى أصحاب ثابت أثبت من حماد بن سلمة ، وكان لا يحدث حتى يقرأ مائة آية نظراً فى المصحف ، ومع هذا تحايد البخارى إخراج حديثه ، لأنه لما طعن فى السن ساء حفظه ، وأما مسلم فاجتهد فيه . وأخرج من حديثه عن ثابت مما سمع منه قبل تغيره ، وأما عن غير ثابت فأخرج نحو أثنى عشر حديثاً فى الشواهد دون الإحتجاج .

مات رضى الله عنه سنة سبع وستين ومائة . سير ٤٤٤/٧

وحماد بن زيد هو العلامة ابن درهم ، محدثه وفقيه ، أحد الأعلام ، كان أجل أصحاب أيوب السختيانى ، جالسه عشرين سنة ، كان ابن مهدى يقول : ما رأيت أحداً أعلم من حماد بن زيد لا سفيان ولا مالك ، وقال : أئمة الناس فى زمانهم أربعة : سفيان الثورى بالكوفة ، ومالك بالحجاز ، والأوزاعى بالشام ، وحماد بن زيد بالبصرة . مات رضى الله عنه سنة تسع وسبعين ومائة .

الطبقات الكبرى ٢٨٦/٧ طبقات خليفة ٢٢٤ تهذيب التهذيب ٩/٣

(٢) هما ابن عيينه والثورى ، أما ابن عيينة فهو سفيان بن أبى عمران ، ميمون ، شيخ الإسلام ، المكى ، مولده بالكوفة سنة سبع ومائة ، طلب الحديث وهو حدث ، ولقى الكبار ، وحمل منهم علماً جماً . =

إذا أن أصحاب الثورى كبار قدماء، وأصحاب ابن عيينة صغار لم يدركوا الثورى، فمتى روى القديم وأبهم فقال: حدثنا سفيان فهو للثورى، وهم وكيع، وابن مهدى، والفريابى، وأبو نعيم، فإن روى واحد من هؤلاء عن ابن عيينة بينه، وأما الذى لم يلحق الثورى وأدرك ابن عيينة فقد يرى أنه غير محتاج لأن ينسبه لعدم الإلباس، كأحمد بن حنبل وإسحاق ابن راهوية.

٧ — الميزان بهم.

وذلك كقول الذهبى: الأوزاعى فى الشاميين نظير معمر لليمانيين، ونظير الثورى للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين. ونظير الليث للمصريين، ونظير حماد بن سلمه للبصريين[1].

وكقول معمر كان ابن شهاب فى أصحابه بمنزلة الحكم فى أصحابه[2]

= سمع من عمرو بن دينار، وابن شهاب الزهرى، وأيوب السختيانى، وهشام بن عروة، وحميد الطويل، ويحيى بن سعيد الأنصارى، وسليمان الأعمش، وابن جريج، وشعبة — وهم من شيوخه، وحماد بن زيد، وعبد الرحمن بن مهدى، ويحيى القطان، والشافعى، وعبد الرازق، والحميدى، وسعيد بن منصور، ويحيى بن معين، وعلى بن المدينى، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهوية، وأمم سواهم.

من كبار أصحابه المكثرين عنه الحميدى والشافعى، وابن المدينى، وأحمد بن حنبل، وإبراهيم الرمادى. قال فيه الشافعى: لولا مالك وسفيان ابن عيينة لذهب علم الحجاز. مات سنة ١٩٨، الطبقات الكبرى ٥/٤٩٧، تهذيب التهذيب ٤/٢١٧ والثورى قد تقدم.

(١) سير ٧/١٣٢

(٢) السابق ٥/٢٠٩ والحكم هو الحكم بن عتيبة، الإمام الكبير =

وقول أحمد بن حنبل فى يحيى بن أبى كثير ويحيى بن سعيد: أنهما يعدان مع الزهرى[1].

وقول الذهبى فى إسماعيل بن أبى خالد: إنه كان محدث الكوفة فى زمانه مع الأعمش بل هو أسند من الأعمش[2]:

= عالم أهل الكوفة، حدث عن شريح القاضى، وعبد الرحمن بن أبى ليلى، وإبراهيم النخعى، وسعيد بن جبير، وطاووس وعكرمة، ومجاهد، وعامر الشعبى، وعطاء بن أبى رباح وخلق سواهم، وعنه: الأعمش، والأوزاعى، وشعبة، وأبو عوانة، وآخرون، مات سنة خمس عشرة ومائة.

(١) يحيى بن أبى كثير هو الإمام الحافظ، أحد الأعلام، روى عن أنس بن مالك وأبى أمامة الباهلى — مرسلا — وأبى سلمة بن عبد الرحمن، وعبد الله بن أبى قتادة، وعمران بن حطان وعنه معمر، والأوزاعى، وخلق، قال شعبة: يحيى بن أبى كثير أحسن حديثاً من الزهرى، وقال أحمد: إذا خالفه الزهرى فالقول قول يحيى، مات سنة تسع وعشرين ومائة ويحيى بن سعيد تقدم.

(٢) إسماعيل بن أبى خالد، الحافظ الكبير، أبو عبد الله البجلى الأحمسى. حدث عن عبد الله بن أبى أوفى، وأبى جحيفة السوائى، وعمرو ابن حريث المخزومى، وأبى كاهل قيس بن عائذ — وكلهم له صحبة —، وعداده فى صغار التابعين، روى عنه شعبة، ووكيع، ويحيى القطان، وسفيان، وعباد بن العوام، قال فيه أحمد: أصح حديثاً عن الشعبى ابن أبى خالد، ابن أبى خالد يشرب العلم شرباً، مات سنة ست وأربعين ومائة، الطبقات الكبرى ٦/٢٤٠، سير ٦/١٧٦

٨ — بيان ما أجمل من بعض الأحكام والمصطلحات فى الرواية .

فقول الحجازيين فى الراوى إنه « كذب » لا تعنى الكذب الاصطلاحى الذى ترد به الرواية ، إنما معناها عندهم (أخطأ) ، يبين هذا بما نقل عن سعيد بن المسيب فى كلامه لغلام له اسمه برد : يابرد لا تكذب على كما كان يكذب عكرمة على ابن عباس[1] .

ولما بلغ عبادة بن الصامت عن أبى محمد أنه قال: إن الوتر واجب، قال: كذب أبو محمد ، سمعت النبى ﷺ يقول « خمس صلوات كتبهن الله على العباد ، من جاء بهن لم ينقص منهن شيئاً استخفافاً بحقهن ، كان له عند الله عهد أن يدخل الجنة[2] » .

قال ابن حبان : أهل الحجاز يطلقون كذب فى موضع أخطأ ، فإن أبا محمد لم يقله رواية وإنما قاله اجتهادا ، والمجتهد لا يقال له إنه كذب ، وإنما يقال إنه أخطأ[3] .

ومن ذلك قول عفان لأحمد لما سأله : أيهما أكثر غلطا سفيان أو شعبة ؟ قال شعبة بكثير قال أحمد: يعنى فى أسماء الرجال[4] .

---

(١) سيره / ٢٢ .

(٢) الحديث أخرجه مالك فى الموطأ ١ / ١٢٣ ، وأبو داود ، وأحمد فى المسند ٥/٣١٥ ، ٣١٩ ، النسائى ١ / ٢٣٠ ، وابن حبان وصححه .

(٣) الثقات .

(٤) وذلك لأنه كان هو المسؤول عنه . وعفان هو ابن سلم بن عبد الله مولى عزرة بنت ثابت الأنصارى ، محدث العراق ، أبو عثمان البصرى ، قال الذهبى : ولد سنة أربع وثلاثين ومئة — تحديداً أو تقريبا . سمع من شعبة ، وهشام الدستوائى ، وهمام ، والحمادين ، وغيرهم ، حدث عنه =

ومن هذا قول على بن المدينى فى شيخ الإسلام — أحد أئمة التابعين — عطاء بن أبى رباح إنه اختلط بأخرة، تركه ابن جريج وقيس بن سعد .

فإنه لم يعن بذلك — كما قال الذهبى — الترك العرفى ، بل عنى أنهما بطلا الكتابة عنه ، وكانا قد تكفيا منه ، وتفقها ، وأكثرا عنه ، وإلا فعطاء ثبت رضى[1] .

= البخارى ، وأحمد ، وابن المدينى، وابن معين ، وابن أبى شيبة ، والذهلى، وأبو زرعة — الرازى والدمشقى — وأبو حاتم ، وإبراهيم الحربى ، وحديثه فى الكتب الستة بواسطة . مات رحمه الله سنة عشرين ومائتين . سير ١٠/٢٤٢ ، وراجع كذلك ٧/٢٤٧ .

(١) ميزان الاعتدال ٣/٧٠ ، سير ٥/٨٧ .

وعطاء واسمه أسلم ، نشأ بمكة ، وولد فى أثناء خلافة عثمان . حدث عن عائشة ، وأم سلمة ، وأم هانىء ، وأبى هريرة ، وابن عباس ، وحكيم ابن حزام ، وابن الزبير ، وعبدالله بن عمرو ، وابن عمر ، وجابر ، ومعاوية ، وأبى سعيد ، وعدة من الصحابة ، وأرسل عن النبى ﷺ ، وعن أبى بكر ، وعتاب بن أسيد ، وعثمان بن عفان ، وطائفة .

حدث عنه مجاهد بن جبر ، وأبو إسحاق السبيعى ، وعمرو بن دينار ، من القدماء ، والزهرى ، وقتادة ، وعمرو بن شعيب ، ومالك بن دينار ، والأعمش ، وأيوب السختيانى ، ويحيى بن أبى كثير ، وخلق من صغار التابعين ، وأبو حنيفة ، وجرير بن حازم ، وجعفر الصادق ، والأوزاعى ، وابن جريج ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة ، وأمم سواهم .

قال ابن سعد : انتهت فتوى أهل مكة إليه وإلى مجاهد ، وأكثر إلى عطاء ، وكان ثقة فقيها ، عالما ، كثير الحديث . وقال فيه الذهبى ، كان شيخ الحى بعد الصحابة عطاء ، ومجاهد ، وخلفهما ، قيس بن سعد ، وابن جريج ، ثم تفرد بالإمامة ابن جريج فدون العلم ، لزم ابن جريج عطاء عشرين =

وفى قول أحمد فى الأوزاعى ، حديث ضعيف ورأى ضعيف ، يقول الذهبى : يريد أن الأوزاعى حديثه ضعيف من كونه يحتج بالمقاطيع ، وبمراسيل أهل الشام . قال : وفى ذلك ضعف : لا أن الإمام فى نفسه ضعيف[1] .

وكذا قول عبد الرحمن فى بشر السرى لم يسمع من ابن أبى ذئب ، وفى الماجشون لم يسمع من الزهرى ، فمعناه كما قال ابن سنان إنه عرض[2] .

= سنة ، وهو أول من دون العلم بمكة ، ورواياته وافرة فى الكتب الستة ، ومسند أحمد ، ومعجم الطبرانى الكبير ، والأجزاء .

مات رضى الله عنه سنة أربع عشرة ومائة .

الطبقات الكبرى ٣٤٤/٥ ، سير ٧٨/٥ .

(١) سير ١١٤/٧ .

(٢) السابق ٣١١/٧ . وبشر السرى هو الواعظ ، الزاهد ، العابد ، الإمام ، الحجة ، أبو عمرو البصرى ، نزيل مكة . سمع حماد بن سلمة ، وسفيان الثورى ، ومالكا ، وطائفة . وحدث عنه أحمد بن حنبل ، وعلى بن المدينى ، وأبو حفص الفلاس ، وجماعة سواهم . قال فيه أحمد بن حنبل ، كان متقناً للحديث ، عجباً . توفى سنة خمس أو ست وتسعين ومائة .

وابن أبى ذئب هو فقيه المدينة محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن أبى ذئب هشام ابن شعبة ، كان يشبه بسعيد بن المسيب ، وهو أقدم لقياً للكبار من مالك ، وكان أحمد يقدمه على مالك فى الفقه ، ويقدم مالكا عليه فى تنقية الرجال ، فكان عالما المدينة فى زمانهما ، مات سنة ثمان وخمسين ومائة . سير ١٣٩/٧ .

والماجشون هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبى سلمة بن ميمون ، الإمام المفتى الكبير ، والد المفتى عبد الملك بن الماجشون صاحب مالك . سبق =

وفى النضر بن عربى الإمام العالم المحدث الفقيه الذى حدث عنه فيمن حدث وكيع وسفيان الثورى ، يقول ابن أبى حاتم : أسند حديثاً واحداً[1] .

قال الإمام الذهبى فى تفسير ذلك : أظن أبى حاتم أراد أنه وهم فى رواية حديث واحد فأسنده ، وصوابه موقوف .

٩ — الوقوف على دقائق الأحوال الخفية للرواة .

فأصحاب قتادة بن دعامة مثلا كثير ، قد روى عنه أئمة الإسلام ، أيوب السختيانى ، وابن أبى عروبة ، ومعمر بن راشد ، والأوزاعى ، وشعبة ، وهمام ، وجرير بن حازم ، وحماد بن سلمة ، وأمم سواهم . بيد أن أصحابه الذين هم حجة فيه ثلاثة ، هم شعبة ، وهشام الدستوائى ، وسعيد ابن أبى عروبة .

قال ابن عبد البر فيهم : فإن اتفقوا لم يعرج على من خالفهم فى قتادة ،

= وسنان هو أحمد بن سنان بن أسد بن حبان ، الإمام الحافظ المجود ، ولد بعد السبعين ومائة . سمع وكيع بن الجراح ، وعبد الرحمن بن مهدى ، ويحيى القطان ، ويزيد بن هارون ، وصنف المسند .

حدث عنه الشيخان ، وأبو داود ، والترمذى ، وابن ماجة ، وابن خزيمة ، والنسائى ، ويحيى بن صاعد وعبد الرحمن بن أبى حاتم ، وقال فيه : هو إمام أهل زمانه .

توفى سنة تسع وخمسين ومائتين . سير ٢٤٤/١٢ .

(١) الجرح والتعديل ٤٧٥/٨ روى النضر عن مجاهد ، وعكرمة ، وعطاء ، وعمر بن عبد العزيز ، ومكحول ، ونافع مولى ابن عمر ، وعدة ، وليس بالمكثر . وحدث عنه وكيع ، والثورى ، والمطلب بن زياد . مات سنة ثمان وستين ومائة . تهذيب التهذيب ٤٤٢/١٠

وإن اختلفوا نظر، فان اتفق منهم اثنان وانفرد واحد فالقول قول الاثنين، لا سيما إن كان أحدهما شعبة، وليس أحد بالجملة فى قتادة مثل شعبة، لأنه كان يوقفه على الإسناد والسماع (١).

وابن جريج الذى كانت تسمى كتبه بكتب الأمانة لدقة تحريه فيها - ضعف فى الزهرى لأنه حمل عنه مناولة، ومن ثم دخل عليه الداخل فيه (٢).

يقول الذهبى: وهذه الأشياء - يعنى الرواية بالمناولة والإجازة - يدخلها التصحيف، ولا سيما فى ذلك العصر، لم يكن حدث فى الخط بعد شكل ولا نقط (٣). وكان ابن جريج أثبت من مالك فى نافع.

قال على: سألت يحيى بن سعيد: من أثبت من أصحاب نافع؟ قال: أيوب وعبيد الله، ومالك، وابن جريج أثبت من مالك فى نافع (٤).

ولما سئل أحمد فى أثبت الناس فى نافع عبيد الله أو مالك أو أيوب؟ قدم عبيدالله بن عمر وفضله بلقاء سالم والقاسم. قال أبو زرعة، قلت له: فمالك بعده؟ قال: إن مالكا أثبت (٥).

وكان مالك من أثبت الناس فى الزهرى، قال يحيى بن معين: أثبت أصحاب الزهرى مالك، ثم معمر، ثم عقيل، ثم يونس، ثم شعيب،

(١) التمهيد ١٤/٢٧٦. وقتادة ما توقف أحد، فى صدقه وعدالته، بيد أنه كان معروفا بالتدليس، فإذ بين السماع فهو حجة بالاجماع. قال معمر: أقام قتادة عند سعيد بن المسيب ثمانية أيام، فقال له: ارتحل يا أعمى فقد انزفتنى سير ٥/٢٦٩.

(٢) سير ٦/٣٣١.

(٣) السابق ٦/٣٢٨.

(٤) السابق

(٥) التمهيد ١٣/٢٣٧.

والأوزاعى والزبيدى. وكان الأوزاعى يفضل محمد بن الوليد الزبيدى على جميع من سمع من الزهرى.

وقال ابن معين: هو أثبت فى الزهرى من سفيان بن عيينة، وذلك لأنه أقام مع الزهرى بالشام عشر سنين حتى احتوى على أكثر علمه - كما يقول ابن حبان.

قال الذهبى: أين من يقيم مع الزهرى بالحجاز أياً من أقام معه فى وطنه عشر سنين؟ ما فوق الزبيدى فى الجلالة والإتقان لعلم الزهرى أحد أصلا ولكنه مات قديما فلم ينتشر عنه كثير علم (١).

وكان حديث معمر عن العراقيين عند الأئمة غير مستقيم إلا عن ابن طاووس والزهرى.

قال ابن معين: إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه، إلا عن ابن طاووس والزهرى، فإن حديثه عنهما مستقيم، فأما أهل الكوفة والبصرة فلا (٢).

(١) سير ٦/٢٨١، والزبيدى هو محمد بن الوليد بن عامر الإمام الحافظ قاضى حمص، ولد فى خلافة عبد الملك، وحدث عن نافع مولى ابن عمر، ومكحول، وعمرو بن شعيب، والزهرى، وسعيد المقبرى، وعامر بن عبد الله الزبير. وخلق.

حدث عنه الأوزاعى، وبقية، وشعيب بن أبى حمزة.

قال ابن سعد: كان الزبيدى أعلم أهل الشام بالفتوى والحديث، وكان ثقة إن شاء الله. مات سنة ثمان وأربعين ومائة.

راجع سير أعلام النبلاء ٨/٢٨١.

(٢) سير ٧/١٠.

الأعلام فى باب الدراية

إن الدراية — كما نفهمها — تتعلق بسائر العلوم الشرعية من فقه وتاريخ، وتربية وتهذيب.

وتتمثل فوائد ودراسة الأعلام فى باب الفقه فيما يلى :—

١ — الوقوف على مكانتهم فيه.

ويتضح ذلك فى قول الشعبى فى فقهاء الصحابة: يؤخذ العلم عن ستة، عمر، وعبد الله، وزيد، يشبه علمهم بعضه بعضا، وكان على وأبى، وأبو موسى يشبه علمهم بعضه بعضا. يقتبس بعضهم من بعض (١).

وقول الذهبى: أفقه أهل الكوفة على وابن مسعود، وأفقه أصحابهما إبراهيم، وأفقه أصحاب إبراهيم حماد بن سلمة، وأفقه أصحاب حماد أبو حنيفة، وأفقه أصحابه أبو يوسف، وانتشر أصحاب أبى يوسف فى الآفاق، وأفقههم محمد بن الحسن، وأفقه أصحاب محمد أبو عبد الله الشافعى رحمهم الله تعالى (٢).

٢ — الوقوف على مستقر أقوالهم ومجامع آرائهم، ومن ثم معرفة مصدر علم من أخذ عنهم.

مثال ذلك فيما ذكره ابن المدينى فى علم زيد بن ثابت وابن مسعود وابن عباس حيث قال «لم يكن أحد من الصحابة له أصحاب حفظوا عنه

(١) سير ٢/٣٨٩

(٢) السابق ٥/٢٣٦

وقاموا بقوله فى الفقه إلا ثلاثة.. ذكرهم ثم قال: وأعلم الناس بابن مسعود علقمه والأسود، وعبيدة والحارث (١)

(١) علقمة هو فقيه الكوفة وعالمها، ومقرئها، الإمام علقمة بن قيس، عداده فى المخضرمين، لازم ابن مسعود حتى رأس فى العلم والعمل، وتفقه بن العلماء، وبعد صيته، حدث عن عمر، وعثمان، وعلى، وسلمان، وأبى الدرداء، وخالد بن الوليد، وحذيفة، وخباب، وعائشة، وسعد، وعمار، وأبى مسعود البدرى، وأبى موسى، ومعقل بن سنان، وسلمة ابن يزيد الجعفى، وشريح بن أرطأة، وطائفة سواهم، وتفقه وجود القرآن على ابن مسعود، وتفقه به أئمة كإبراهيم النخعى — وهو ابن اخته — والشعبى، وتصدى للإمامة والفتيا بعد على وابن مسعود، وكان يشبه بابن مسعود فى هديه ودله، وسمته، وكان طلبته يسألونه، ويتفقهون به والصحابة متوافرون. مات سنة ٦٢

والأسود هو ابن يزيد بن قيس، الإمام القدوة، أبو عمرو النخعى، الكوفى، ابن أخى علقمة بن قيس، وخال إبراهيم النخعى، كان مخضرما، أدرك الجاهلية والإسلام، حدث عن معاذ بن جبل، وبلال، وابن مسعود وعائشة، وحذيفة بن اليمان، وطائفة سواهم.

حدث عنه ابنه عبد الرحمن، وإبراهيم النخعى، وأبو إسحاق السبيعى، والشعبى، وآخرون. توفى سنة خمس وسبعين.

وعبيدة هو ابن عمرو السلمانى، الفقيه، المرادى، الكوفى، أحد الأعلام، أسلم عام فتح مكة بأرض اليمن، ولا صحبة له، وأخذ عن على، وابن مسعود، وغيرهما. كان أحد أصحاب عبد الله بن مسعود الذين يقرئون ويفتون. مات سنة اثنتين وسبعين.

والحارث هو العلامة الإمام أبو زهير، الحارث بن عبد الله بن كعب الهمدانى الكوفى، صاحب على وابن مسعود.

٣ — الوقوف على تناولهم للأحكام وتعاملهم معها .

وهذا مما يكشف عن روح كثير منها .

من ذلك موقف أيوب السختياني من تشمير الثوب وإطالته ، فقد كان في قميصه بعض التذييل ، فلما قيل له في ذلك أجاب بقوله : الشهرة اليوم في التشمير [١].

وكان عبد الله بن عون تلميذ الشعبي وابن سيرين وابن جبير لا يزيد في شهر رمضان على حضوره المكتوبة ، ثم يخلو في بيته [٢] . وكان

= كان فقيهاً ، كثير العلم ، على لين في حديثه :

حدث عنه الشعبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو إسحاق السبيعي ، وغيرهم . كان من أوعية العلم ، ومن الشيعة الأول .

قال محمد بن سيرين : أدركت أهل الكوفة وهم يقدمون خمسة ، من بدأ بالحارث الأعور ثنى بعبيدة السلماني ، ومن بدأ بعبيدة ثنى بالحارث ، ثم علقمة ، ثم مسروق ، ثم شريح . وقال أبو بكر ابن أبي داود : كان الحارث أفقه الناس وأحسب الناس . تعلم الفرائض من علي رضي الله عنه . توفي سنة خمس وستين بالكوفة .

راجع سير ٤/٥٥

(١) سير ٦/٢٢

(٢) السابق ٦/٣٦٩ : وابن عون كان إذ ذاك عالم البصرة ، روى عنه سفيان وشعبة ، وابن المبارك ، والنضر بن شميل ، وابن علية . وأبو عاصم النبيل ، والأصمعي ، كان من أئمة العلم والعمل .

قال فيه ابن المبارك : ما رأيت أحداً أفضل من ابن عون . وقال شعبة شك ابن عون أحب إلي من يقين غيره ، بلغ حديثه أربعة آلاف أو ستة . وقال علي ابن المديني : كنا عند يحيى القطان فتذاكروا الأعمش وابن عون =

عروة يقول في معالم بر الأبناء بآبائهم : ما بر والده من شد الطرف إليه »[١] .

ولما رأى أبو قلابة أيوب السختياني وقد اشترى تمراً رديئاً قال له : « أما علمت أن الله قد نزع من كل رديء بركته »[٢] .

وكان ابن عون يقول : إن الرجل يكون مظلوماً فلا يزال يقول حتى يكون ظالماً .

ولما سئل جعفر بن محمد : لم حرم الله الربا ؟ قال : لئلا يتمانع الناس المعروف[٣] ، ولما سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها عن الحفاف قالت السائلة : إن كان لك زوج فاستطعت أن تنزعي مقانبك فتصنعيهما أحسن مما هما فافعلي[٤] .

= فقالوا الأعمش رأى غير واحد من أصحاب رسول الله ﷺ ، فقال يحيى بن سعيد سمع ابن عون من فقهاء الأرض ، سمع بالبصرة من الحسن ومحمد ، وبالكوفة من إبراهيم والشعبي ، وبمكة من سعيد بن جبير ومجاهد ، وبالشام من مكحول ورجاء بن حيوة . وقد دار أمر البصرة على أربعة : أيوب ، ويونس ، وابن عون ، وسليمان التيمي ، مات سنة إحدى وخمسين ومائة .

(١) السابق ٤/٤٣٣

(٢) السابق ٤/٤٧٢ . وأبو قلابة هو عبد الله بن زيد بن عمرو ، شيخ الإسلام ، البصري . حدث عن ثابت بن الضحاك في الكتب كلها ، وعن أنس كذلك ، ومالك ابن الحورث ، وحذيفة ، وسمرة بن جندب . وعنه أيوب السختياني ، وخالد الحذاء ، وعمرو بن ميمون ، وعاصم الأحول . كان من أئمة الهدى ، مات بعريش مصر سنة أربع ومائة .

(٣) سير ٦/٢٦٢ (٤) الطبقات الكبرى بسند صحيح ٨/٧٠

٤ — الاستفادة بمواقفهم وآرائهم فى تفسير ما يخفى من بعض الأدلة والقضايا العلمية .

فقد كان محمد بن سيرين مثلا يرى أن أهل الأهواء هم أسرع الناس ردة ، وأن تلك الآية نزلت فيهم ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره﴾[1] .

وكان قتادة — عبد العلم — يقول فى قوله تعالى ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ كفى بالرهبة علما ، اجتنبوا نقض المثياق ، فإن الله قدم فيه وأوعد ، وذكره فى آى من القرآن تقدمة ونصيحة ، وحجة ، إياكم والتكلف ، والتنطع ، والغلو ، والإعجاب بالنفس ، وتواضعوا لله ، لعل الله يرفعكم[2] .

---

(١) سير ٤/٦١٠ ، والآية ٦٨ من سورة الانعام . ومحمد بن سيرين هو شيخ الإسلام ، أبو بكر الأنصارى ، الأنسى ، البصرى ، مولى أنس بن مالك ، قال فيه أخوه أنس إنه ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر .

سمع أبا هريرة ، وعمران بن حصين . وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس ابن مالك ، وعدى بن حاتم ، وخلقاً سواهم ، روى عنه قتادة وأيوب ، وابن عون ، ويزيد بن إبراهيم التسترى ، وسعيد بن أبى عروبة . قال فيه ابن عون : ثلاثة لم تر عيناى مثلهم ، ابن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاء بن حيوة بالشام . كأنهم التقوا فتواصوا . وعن مورق العجلى : ما رأيت أحداً أفقه فى ورعه ، ولا أورع فى فقهه من ابن سيرين . مات رضى الله عنه سنة عشر ومائة ، بعد الحسن البصرى بمائة يوم . الطبقات الكبرى ٧/٢٠٥ ، الحلية ٢/٢٧٨ سير ٤/٦٠٦

(٢) السابق ٥/٢٧٦ ، والآية ٢٨ فاطر . وقتادة بن دعامة روى عن أنس ابن مالك ، وسعيد بن المسيب ، وعكرمة مولى ابن عباس ، والحسن البصرى . سبق

ومن تفسير سفيان لقوله تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقوله فيها : فسبغ عليهم النعم ، ومنعهم الشكر . ما يفيد إضافة لأقاويل العلماء فيها ليس من اليسير أن تجدها فى باب من أبوابها .

وكان من كلامه رضى الله عنه : البكاء عشرة أجزاء ، جزء لله وتسعة لغير الله ، فإذا جاء الذى لله فى العام مرة فهو كثير[1] .

٥ — تخليص بعض الآراء الفقهية من المغالاة المذهبية .

تلك المغالاة التى وصلت بالبعض إلى حد الحماقة المتناهية ، استمع إلى تلك الحكاية التى ساقها الإمام الذهبى من طريق الحافظ أبى سعد السمعانى عن الفقيه أبى إسحاق الفيروزابادى قال : سمعت أبا الطيب يقول : كنا فى مجلس النظر بجامع المنصور ، فجاء شاب خراسانى ، فسأل عن مسألة المصراة ، فطالب بالدليل فاستدل له بحديث أبى هريرة الوارد فيها ، ولا تصروا الإبل والغنم ، فمن ابتاعها بعد ذلك فهو بخير النظرين بعد أن يحلبها ، إن رضيها أمسكها ، وإن سخطها ردها وصاعاً من تمر ، وكان الشاب حنفياً فقال : أبو هريرة غير مقبول الحديث !! فانظر إلى أى حد يصل التعصب المقيت بأصحابه ، فلو لم يكن هذا الحديث منقولا عن إمام من أئمة الرواية كأبى هريرة رضى الله عنه ما أمكن بغير المعرفة المضنية بالرجال كشف زيف وحماقة أمثال هؤلاء .

٦ — معرفة من يصح تقليده لغير المجتهدين من صحابة رسول الله ﷺ

---

(١) سير ٧/٢٢٨ ، والآية ١٨٢ الإعراف

(٢) المصراة هى الناقة أو البقرة أو الشاة يصرى اللبن فى ضرعها — أى يجمع ويحبس ، ثم تباع ، فيظن المشترى أنها كثيرة اللبن فيزيد فى ثمنها ، فإذا حلبها مرتين أو ثلاثا وقف على التصرية والغرر . وانظر سير ٢/٦١٨ ، الموطأ فى البيوع ب ما ينهى عنه من المساومة والمبايعة

بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين ومن تبعهم، ثم الأئمة المتبوعين وأصحابهم.

يقول القاضي عياض: فقهاء أصحاب رسول الله ﷺ أحق بالتقليد، فهم أخذوا عنه العلم، وعلموا أسباب نزول الأوامر والنواهي، ووظائف الشرائع، ومخارج كلامه عليه السلام، شاهدوا قرائن ذلك، وشافهوا بأكثرها النبي ﷺ، واستفسروه عنها، مامع كانوا عليه من سعة العلم، ومعرفة معاني الكلام، وتنوير القلوب، وانشراح الصدور، فكانوا أعلم الأئمة بلا مرية، وأولاهم بالتقليد، لكنهم لم يتكلموا من النوازل إلا في اليسير مما وقع، ولا تفرعت عنهم المسائل، ولا تكلموا من الشرع إلا في قواعد ووقائع، وكان أكثر انشغالهم بالعمل بما علموا، والذب عن حوزة الدين، وتوطيد شريعة المسلمين، ثم بينهم من الاختلاف في بعض ما تكلموا فيه ما يبقى المقلد في حيرة، ويحوجه إلى نظر وتوقف، وإنما جاء التفريع والتنقيح وبسط الكلام فيما يتوقع وقوعه بعدهم، فجاء التابعون فنظروا في إختلافهم وبنوا على أصولهم[1].

ويقول الإمام الذهبي: فالمقلدون صحابة رسول الله ﷺ بشرط ثبوت الإسناد إليهم، ثم أئمة التابعين كعلقمة ومسروق، وعبيدة السلماني، وسعيد ابن المسيب، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبير، وعروة، والقاسم، والشعبي والحسن، وابن سيرين، وإبراهيم النخعي.

ثم كالزهري، وأبي الزناد، وأيوب السختياني، وربيعة، وطبقتهم.

ثم كأبي حنيفة، ومالك، والأوزاعي، وابن جريج. ومعمر، وابن أبي عروبة، وسفيان الثوري، والحمادين، وشعبة، والليث، وابن الماجشون وابن أبي ذئب.

(١) ترتيب المدارك ١/٦١

ثم كان المبارك، ومسلم الزنجي، والقاضي أبي يوسف، ووكيع، والوليد بن مسلم، وطبقتهم.

ثم كالشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، وأبي ثور، والبويطي وأبي بكر بن شيبه.

ثم كالمزني، وأبي بكر بن الأثرم، والبخاري، وداود بن علي، ومحمد بن نصر المروزي.

ثم محمد بن جرير الطبري، وأبي بكر بن خزيمة، وأبي جعفر الطحاوي، وأبي بكر الخلال[1].

٧ — تخليص النصوص من دعوى العموم.

وذلك فيما أخرجه احمد في المسند عن شداد بن أوس قال: كان أبو ذر يسمع الحديث من رسول الله ﷺ فيه الشدة، فيخرج إلى قومه فيسلم عليهم، ثم إن رسول الله يرخص فيه بعد، فلم يسمعه أبو ذر، فيتعلق أبو ذر بالأمر الشديد[2].

وكان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما أخرجه الذهبي عن ابن وهب عن مالك يتبع رسول الله ﷺ وآثاره وحاله حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه ذلك[3].

هذه العاطفة الجارفة منه رضي الله عنه تمنع كثيراً من النصوص والأحاديث الواردة عنه من أن يكون لها على الإطلاق صفة العموم.

(١) سير ٨/٩١

(٢) أحمد في المسند ٤/١٢٥، ورجاله ثقات غير ابن لهيعه

(٣) سير ٨/٩١

أما فى موضوع التاريخ :

فإن التركيز على الأعلام فى موضوعه يضيف له فوائد كثيرة، منها :

١ — أنه يكشف خفايا كثير من الأحداث توارت بضجيجها ، وأخفاها طول العهد الذى مر عليها .

فكم من المؤرخين مثلا من يذكر فى زحام الأحداث التى مرت بالدولة الأموية دور (بطال) الذى وصفه مؤرخ الإسلام الذهبى بأنه رأس الشجعان والأبطال ، كم منهم من يذكر أو يقف على دوره فى التمهيد لغزو الروم ؟ وكم منهم من أبرز دور الجرادة الصفراء سلمة بن عبد الملك فى التمهيد لفتح القسطنطينية[1] .

إن التركيز على أحداث التاريخ أخفت أدوار كثير من الرجال كانوا فى تلك الأحداث والتمهيد لها أعلاماً فى حينها بارزة ، وإن عظيم ما فعلوا (ليتوجب) أن يبرز على الزمان ذكرهم .

لقد كان مقر البطال بأنطاكية على تخوم الروم آنئذ ، وأوطأ الروم بذلك خوفاً وذلا ، مما جعل عبد الملك بن مروان يوصى أخاه مسلمة قائد جيوشه أن يجعله على طلائع الجيش ، وأن يدعه يعس بالليل لأنه أمير شجاع مقدام[2] .

(١) البطال هو أبو محمد عبد الله البطال ، من أعيان أمراء الشاميين ، كان شاليش الأمير سلمة بن عبد الملك . قتل سنة اثنتى عشرة ومائة والجرادة الصفراء هو لقب سلمة بن عبد الملك ، كان ميمون النقيبة وغزا الترك والسند . قال فيه الذهبى : كان أولى بالخلافة من سائر إخوته مات سنة عشرين ومائة . سيره/٢٠٨، ٢٤١ (٢) السابق .

ذكر الذهبى عنه أنه قال : اتفق لى أنا أتينا قرية فى أعماق الروم لنغير ، فإذا ببيت فيه سراج وصغير يبكى ، فقالت أمه : اسكت أو لأدفعنك إلى البطال . فبكى فأخذته من سريره وقالت : خذه يا بطال ، فقلت هاته .

وهذه واقعة تكشف كثيراً عما بلغه المسلمون آنئذ من قلوب خصومهم وتفسر لنا أسباب إنهيار دول أعدائهم ، وتصلح لأن تكون تفسيراً لكثير من القضايا الاجتماعية .

بيد أنها فى زحمة الأحداث غابت كما غاب غيرها ، ومثلها لا يبرزها إلا التركيز على الأعلام من ثنايا الأحداث .

٢ — الوقوف على فضائل ومناقب من بعد الصحابة ، مما لم يدخل فى أبواب المناقب من كتب التاريخ . فسيرة أمر الإسلام لم تقف عند جيل الصحابة فقط ، ففى الذين تبعوهم ومن أتى من بعدهم ولزم منهجهم كثير مما امتازوا به من سجايا وأخلاق .

أخرج ابن عساكر عن الحارث الغنوى قال: آلى ربعى بن حراش أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره ، قال الحارث: فأخبر الذى غسله أنه لم يزل مبتسما على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا منه[1] .

وقد أخرج ابن عبد البر عنه بسند رجاله ثقات قال : كنا أربعة إخوة ، فكان الربيع أكثرنا صلاة وصياما فى الهواجر ، وأنه توفى ، فبينا نحن حوله قد بعثنا من يبتاع لنا كفنا ، إذ كشف الثوب عن وجهه فقال: السلام عليكم ، فقال القوم : عليكم السلام يا أخى عيسى ، أبعد الموت ؟ قال نعم ، إنى لقيت ربى بعدكم ، فلقيت ربا غير غضبان ،

(١) تاريخ دمشق ٦/١٠٢ أ .

واستقبلني بروح وريحان ، واستبرق ، ألا وأن أبا القاسم ينتظر الصلاة على فعجلوني[١] .

وكان يزيد بن أبي حبيب المصري — وهو من صغار التابعين — أول من أظهر العلم بمصر ، والكلام في الحلال والحرام ، وكانوا قبله يتحدثون بالفتن والملاحم والترغيب في الخير[٢] ، فجمع شتات ما بذر ، الصحابة والتابعون بعدهم فيها ، ثم قعده في قواعد علمية .

٣ — الوقوف على دوافع بعض الوقائع التاريخية .

وذلك في مثل ما أخرجه ابن سعد بسند قوي عن هشام بن عروة عن أبيه أن النبي ﷺ أخر الإفاضة من عرفة من أجل أسامة ينتظره ، فجاء غلام أسود أفطس ، فقال أهل اليمن : إنما جلسنا لهذا ؟ ! فلذلك ارتدوا — يعني أيام الردة[٣] ومثل ماذكره قتادة في تاريخ نشأة الإرجاء قال : إنما حدث هذا الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث[٤] .

---

(١) الاستيعاب ، ترجمة زيد بن خارجة .

(٢) يزيد بن أبي حبيب ، الإمام الحجة ، مفتي الديار المصرية ، ولد بعد سنة خمسين في دولة معاوية ، وهو من صغار التابعين ، حدث عن عبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدي الصحابي ، وعكرمة ، وعطاء ، وعمرو بن شعيب ، وخلق ، ونزل إلى أن روى عن الزهري بالإجازة . ارتفع بالتقوى مع كونه مولى أسود . حدث عنه محمد بن إسحاق ، وحيوة ابن شريح ، والليث ، وابن لهيعة وغيرهم . مات سنة ثمان وعشرين ومائة . سير ٦/٣١ .

(٣) الطبقات الكبرى ٤/٦٣ ، كما أخرجه البخاري أيضا في التاريخ الكبير ٢/٢٠ .

(٤) سير ٥/٢٧٥ ، وابن الأشعث هو الأمير عبد الرحمن بن محمد =

وفي قول الليث بن سعد بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط[١] .

يقول الحافظ الذهبي : كانت الأهواء والبدع خاملة في زمن الليث ومالك والأوزاعي ، والسنن ظاهرة عزيزة ، فأما في زمن أحمد بن حنبل ، وإسحاق وأبي عبيد فظهرت البدعة ، وامتحن أئمة الأثر ، ورفع أهل الأهواء رؤسهم بدخول الدولة معهم ، فاحتاج العلماء إلى مجادلتهم بالكتاب والسنة ، ثم كثر ذلك فطال الجدال ، واشتد النزاع ، وتولدت الشبه .

٤ — الاستدلال بأفعالهم وأحوالهم وأقوالهم على أحوال زمانهم . فحينما نقرأ أن الفقيه سليمان بن يسار عالم المدينة ومفتيها مولى أم المؤمنين ميمونة الهلالية كان والياً على سوق المدينة لأميرها عمر بن عبد العزيز نستطيع أن ندرك بهذا الخبر لهذا العلم من أحوال زمانه ما لا تسعفنا به الأخبار والأحداث العامة[٢] .

= ابن الأشعث ابن قيس . الكندي . بعثه الحجاج على سجستان فثار هناك ، وأقبل في جمع كبير فيهم العلماء والصلحاء ، لما انتهك الحجاج من إماتة الصلاة ، وجوره وجبروته ، فقاتله الحجاج ، وجرى بينهما عدة مصافات ، ودام الحرب أشهرا ، وقتل خلق من الفريقين ، وفي آخر الأمر انهزم جمع ابن الأشعث .

(١) سير ٨/١٣٦ ، والليث ابن سعد هو شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية أبو الحارث الفهمي قال فيه الخطيب : لو أن مالكا والليث اجتمعا لكان مالك عند الليث أخرس . تاريخ بغداد ١٣/٦ . مات سنة خمس وسبعين ومائة .

(٢) كان سليمان بن يسار من أوعية العلم بحيث إن بعضهم قد فضله =

وماورد عن مالك أنه لم يرو عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين[1] حتى ظهر أمر بني العباس، مما يعين على مزيد إدراك لأمر الفتنة التي ضربت في المسلمين آنذاك، ويكشف عن ما تبلغه أمثالها في دين الناس ودنياهم.

أخرج الذهبي عن محمد بن يوسف الفريابي: سمعت سفيان يقول: أدخلت على أبي جعفر — المنصور الخليفة — فقلت له: اتق الله، فإنما أنزلت في هذه المنزلة، وصرت في هذا الموضع بسيوف المهاجرين والأنصار، وأبناؤهم يموتون جوعا! حج عمر فما أنفق إلا خمسة عشر دينار، وكان ينزل تحت الشجرة[1]. وهذا مما يبين أن عرفات آنئذ كانت ذات شجر، ويماثل هذا ما جاء عن حماد بن سلمة في قوله: أخذ إياس بن معاوية بيدي وأنا غلام فقال: لا تموت حتى تقص. أما إني قد قلت هذا لخالك حميد الطويل. قال أبو خالد الرازي: فما مات حماد حتى قص. قال الذهبي: والقاص هو الواعظ[2].

= على سعيد بن المسيب — حدث عن زيد بن ثابت وابن عباس وأبي هريرة وحسان بن ثابت، وجابر بن عبد الله، ورافع بن خديج، وابن عمر وعائشة، وأم سلمة، وميمونة، وأبي رافع مولى النبي، والمقداد بن الأسود وحمزة بن عمرو الأسلمي، حدث عنه أخوه عطاء والزهري، وعمرو بن دينار، وربيعة الرأي، وصالح بن كيسان. ويحيى بن سعيد الأنصاري، وعمرو ابن شيعب. وغير هذا كثير. مات سنة سبع ومائة الطبقات الكبرى ١٧٤/٥.

(١) سير ٢٦٣/٧.

(٢) السابق، وإياس بن معاوية قاضي البصرة العلامة، روى عن أنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير، وشعبة، وحماد بن سلمة

فهذا الخبر، يكشف عن مكانة الوعظ في الناس آنذاك، وأنه كان لا ينال إلا بكثرة العلم والرواية.

وفي بكر بن عبد الله المزني حين تقول ابنته لأخيها عبد الله: كان أبوك قد جعل على نفسه أن لا يسمع رجلين يتنازعان في القدر إلا قام فصلى ركعتين[1]. يقول الذهبي: هذا يدل على أن البصرة كانت تغلي في ذلك الوقت بالقدر، وإلا فلو جعل الفقيه اليوم على نفسه ذلك لأوشك أن يبقى السنة والسنتين لا يسمع متنازعين في القدر، ولله الحمد، ولا يتظاهر أحد بالشام ومصر بإنكار القدر[2].

= وغيرهم، كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل، قلما روى عنه، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة، طبقات خليفة ٢١٢، شذرات الذهب ٦٠/١، سير ١٥٥/٥

وحميد الطويل بن حميد، الإمام الحافظ البصري. مولده سنة ثمان وستين عام موت ابن عباس، سمع أنس والحسن، وعكرمة، وثابت البناني وطائفة، حدث عنه شعبة، وابن جريج، والسفيانان، والحمادان وابن المبارك، ومالك، وهشيم، ويحيى القطان، ويحيى بن سعيد الانصاري — وهو من أقرانه —، وهو خال حماد بن سلمة.

قال الأصمعي: رأيت حميداً ولم يكن بطويل، ولكن كان له جار يقال له حميد القصير فقيل حميد الطويل ليعرف من الآخر، قال العجلي: بصري تابعي ثقة، مات وهو قائم يصلي سنة اثنتين وأربعين ومائة، سير ١٦٣/٦

(١) حلية الأولياء ٢٢٥/٢، الطبقات الكبرى ٢٠٩/٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٣٣/٤، وبكر المزني هو الإمام القدوة، =

٥ — بمعرفة طباعهم وماجبلوا عليه يسهل تعليل بعض الوقائع التاريخية .

فمعاوية بن أبي سفيان مثلا كان محببا إلى رعيته، وقد عمل على نيابه الشام عشرين سنة ، ودامت له خلافه الملك بعدها كذلك عشرين سنة ، لم يهجه أحد فى دولته ،وقد روى أن عمر رضى الله عنه كان إذا نظر اليه قال : هذا كسرى العرب[١].

وفوق ذلك فإنه — كما قال الزهرى — عمل عامين عمل عمر مايخرم ثم إنه بعد[٢] .

وكان قيس بن سعد سيد الخزرج وابن سيدهم وأحد دهاة العرب ، وكان هو وعبد الله بن بديل بن ورقاء مع على ، — فى الفتنة — ، وكان عمرو بن العاص مع معاوية ، وهؤلاء الثلاثة كانوا من خمسة هم دهاة العرب فى الفتنة ، معاية ، وعمرو ، وقيس ،والمغيرة، وعبد الله بن بديل، بيد أن قيساً لم يقم لعمرو لأنه مع دهائه كان يمقت المكر ويقول: لولا الإسلام لمكرت مكراً لاتطيقه العرب[٣]، (وكان المغيرة بن شعبة من تحول إلى معاوية بعد أن أثر على الاستغناء بيقينه عن دهائه .

= أحد الأعلام ، يذكر مع الحسن وابن سيرين ، حدث عن المغيرة بن شعبة ، وابن عباس ، وابن عمر ، وأنس بن مالك ، وعدة ، حدث عنه ثابت البنانى ، وعاصم الأحول ، وحميد الطويل ، وقتادة ، وصالح المرى، وآخرون ، مات رضى الله عنه سنة ثمان ومائة .

وفى القول بالقدر راجع كتابنا غنية المسلم ١/٢٣

(١) البداية والنهاية ٨/١٢٥ (٢) سير ٣/١٤٦

(٣) صاحب رسول الله ﷺ ، وابن صاحبه، صحب النبى ﷺ عشر =

أخرج ابن عساكر أن المغيرة قال لعلى حين قتل عثمان : أقعد فى بيتك ولاتدع إلى نفسك ، فإنك لو كنت فى جحر بمكة لم يبايعوا غيرك .

وقال لعلى : إن لم تطعنى فى هذه الرابعة لاعتزلتك ، ابعث إلى معاوية عهده ، ثم أخلعه بعد ، فلم يفعل ، فاعتزله المغيرة باليمن ، فلما شغل على ومعاوية فلم يبعثوا إلى الموسم أحداً جاء المغيرة فصلى بالناس ، ودعا لمعاوية[١] .

= سنين، وكان صاحب لوائه ، واستعمله الرسول ﷺ على الصدقة، كان يضرب به المثل فى الجود والدهاء ، قال ابن سيرين : كان سعد ينادى على أطمه : من أحب شحما ولحما فليأت ، ثم أدركت ابنه مثل ذلك.

وأخرج ابن عدى عن أبى رافع عن قيس بن سعد قال : لولا أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول والمكر والخديعة فى النار، لكنت من أمكر هذه الأمة .

قال الحافظ فى الفتح ، لا بأس به ، ٤/٢٩٨

أنظر الطبقات الكبرى ٦/٥٢ ، التاريخ الكبير ٧/١٤١ ، تهذيب التهذيب ٨/٣٩٥ ، سير ٣/١٠٢

والمغيرة بن شعبة من كبار الصحابة ، أولى الشجاعة والمكيدة ، شهد بيعة الرضوان ، وذهبت عينه يوم اليرموك ، وقتل يوم القادسية سنة خمسين ، سير ٣/٢١

(١) تاريخ دمشق ١٧/٤١ ب

٦ — الانتساب بالحصال بمعرفة الأوائل من أصحابها .

فاذا ماعرف الناس أن أول من سن حلق التحفيظ للقرآن أبو الدرداء[1]

(١) هو الإمام القدوة صاحب رسول الله ﷺ عويم بن زيد بن قيس، حكيم هذه الأمة ، أسلم يوم بدر ، ثم شهد أحداً ، وكان من آخر الأنصار إسلاما ، وكان الصحابة يقولون : أتبعنا للعلم والعمل أبو الدرداء ، وقال مسروق : وجدت علم الصحابة أفضى إلى ستة : عمر ، وعلى ، وأبى ، وزيد ، وأبى الدرداء ، وابن مسعود ، ثم إنتهى علمهم إلى على وعبد الله ، وكان ابن عمر يقول : حدثونا عن العاقلين ، فيقال : من العاقلان ؟ فيقول معاذ وأبو الدرداء ، مات سنة اثنين وثلاثين ، الطبقات الكبرى ٣٩١/٧ ، التاريخ الكبير ٧٦/٧ ، سير ٣٣٥/٢

ويعلى بن أمية صحابى ، أسلم يوم الفتح وحسن إسلامه ، بقى إلى قريب الستين ، وأبو الأسود الدؤلى ويقال — الديلى — قاضى البصرة ، واسمه ظالم بن عمرو ، ولد أيام الغبوة ، وحدث عن عمر ، وعلى ، وأبى بن كعب ، وأبى ذر ، وعبد الله بن مسعود ، والزبير بن العوام ، وطائفة . كان معدودا فى الفقهاء والشعراء والمحدثين ، والإشراف ، والفرسان ، والأمراء والدهاة ، والنحاة ، والحاضرى الجواب ، مات فى طاعون الجارف بالبصرة سنة تسع وستين .

وسعيد بن أبى عروبة هو الإمام الحافظ ، عالم أهل البصرة ، كان من بحور العلم إلا أنه تغير لما شاخ ، حدث عنه شعبة ، والثورى ، والنضر ابن شميل ، ويحيى بن سعيد القطان ، كان يقول : من لم يسمع الاختلاف فلا تعده عالما ، كان أعلم الناس بحديث قتادة ، مات سنة ست وخمسين ومائة ، سير ٤١٥/٦

والربيع بن صبيح كان من أعيان مشايخ البصرة ، حدث عنه وكيع وابن مهدى وأبو داود الطيالسى وعلى بن الجعد ، وهو أول من صنف بالبصرة قبل سعيد بن أبى عروبة فيما قاله الرامهرمزى ، مات سنة ستين ومائة

وعرف القضاة أنه أول من ولى القضاء بدمشق ، وإذا ماعرف المؤرخون مثلا أن أول من أرخ يعلى بن أميه ، وإذا عرف النحويون أن أبا الأسود الدؤلى هو أول من وضع باب الفاعل والمفعول والمضاف وحرف الرفع والنصب والجر والجزم ، وإذا ما عرف الوعاظ أن أول من قص عبيد ابن عمير على عهد عمر بن الخطاب ، واذا ما عرفت الحكومات أن أول من ضرب الدنانير عبد الملك وكتب عليها القرآن ، وإذا ما وقف العلماء على أن أول من صنف السنن النبوية سعيد بن أبى عروبة ، وأن ابن إسحاق أول من دون العلم بالمدينة ، وأول من جرح وعدل شعبة بن الحجاج ، وأن الربيع بن صبيح أول من صنف وبوب .

إذا ماظهر مثل هذا عرف كل ذى شأن من تلك الشئون وأمثالها نسبه فى الأمر وقدوته فيه ، فأعانه ذلك على تعهد شأنه على وفق المثل المرفوع أمامه .

وأما فى التربية والتهذيب :

١ — الوقوف على ما خص به كل واحد من الصحابة — رضوان الله عليهم — من رسول الله ﷺ فى توجيهه وتربيته ، ومن ثم بيان أثر هذا فى سلوكه .

أخرج ابن سعد عن أبى سلمة أن عبد الله بن حذافة قام يصلى فجهر ، فقال النبى ﷺ « يا أبا حذافة لا تسمعنى وسمع الله »[1] .

(١) الطبقات الكبرى ١٩٠/٤ بسند رجاله ثقات ، وعبد الله بن حذافة هو أحد السابقين ، نفذه رسول الله ﷺ إلى كسرى ، وكان من أهل بدر ، حدثوا أنه أسر رضى الله عنه فى قيسارية ، وجرب بأشياء صبر عليها ، ثم جعلوا له فى بيت معه الخمر ولحم الخنزير ثلاثا لا يأكل ، فلما اطلعوا عليه وأخبروا الملك أنه انثنى عنقه وأنه معرض على هذا للموت ، =

ولأحمد عن أبي اليمان وأبي المثنى أن أبا ذر قال « بايعني رسول الله ﷺ خمساً ، ووالثقني سبعاً ، وأشهد الله على سبعاً ألا أخاف في الله لومة لائم »(١) .

وله عن الحسن أن النبي ﷺ أعطى محمد بن سلمة سيفاً فقال : « قاتل به المشركين ، فإذا رأيت المسلمين قد أقبل بعضهم على بعض فاضرب به أحداً حتى تقطعه ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية »(٢) .

٢ — بها تتجسد للدارس الأخلاق الحميدة التي طبع عليها الصحابة ومن بعدهم — رضوان الله عليهم أجمعين — والتي يسر الله بها لهم تربية الأمم وفتح الأمصار ، ومن ثم يقف على الأساليب التي أخذوا بها في تربية نفوسهم وتهذيب أمصارهم .

من ذلك ما أخرجه البخاري عن ابن أبي بردة بن أبي موسى قال :

= فأخرجه الملك وسأله : ما منعك أن تأكل وتشرب ؟ قال : أما إن الضرورة كانت قد أحلتها لي ، ولكن كرهت أن أشمتك بالإسلام ، قال : فقبل رأسي وأخلي لك مائة أسير ، قال : أما هذا فنعم ، فقبل رأسه وخلى سبيله ، ولما قدم بالأسارى على عمر وأخبره الخبر قال عمر : حق على كل مسلم أن يقبل رأس ابن حذافة وأنا أبدأ ، فقبل رأسه ، سير ٥/١٧٢

(١) أحمد في المسند ٥/١٧٢

(٢) سير ٢/٣٧٣ ، وقال محققه : ذكره الحافظ في الإصابة ٩/١٣٢ عن ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن ، قلت : وأخرجه أحمد في المسند ٤/٢٢٥ من طريق زيد بن الحباب عن سهل بن أبي الصلت عن الحسن ، ورجاله ثقات .

أتيت المدينة فلقيت عبد الله بن سلام ، فقال : ألا تجيء فأطعمك سويقاً وتمراً ، وتدخل في بيت — أي دخل فيه النبي — ثم قال : إنا بأرض الربا فيها فاش إذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فلا تأخذه فإنه ربا(١) .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يسبح كل يوم اثني عشر ألف تسبيحة ، يقول : أسبح بقدر ديتي(٢) .

وبعد أن ولى الأحنف بن قيس إمرة خراسان — وهو أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل — لم يزدد على السلطان إلا حلما ، حدث أن أجنب وهو أمير في ليلة باردة ، فلم يوقظ غلمانه ، وكسر ثلجاً واغتسل(٣) .

---

(١) البخاري في صحيحه ك المناقب .

قال الحافظ يحتمل أن يكون ذلك رأي عبد الله ، وإلا فالفقهاء على أنه يكون ربا إذا شرطه ، ثم قال : نعم الورع تركه ، فتح ٧/٩٨

(٢) سير ٢/٦١٠

(٣) السابق ٤/٩٢

والأحنف بن قيس الأمير الكبير ، اسمه ضحاك ، وقيل صخر ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وفد على عمر وحدث عنه ، وعن علي وأبي ذر ، والعباس ، وابن مسعود ، وعثمان بن عفان ، وعدة ، حدث عنه الحسن البصري ، وعروة بن الزبير ، وطلق بن حبيب ، وهو قليل الرواية ، سئل عن المروءة فقال : كتمان السر ، والبعد من الشر . ومن كلامه ثلاثة لا ينتصفون من ثلاثة : شريف من دني ، وبر من فاجر ، وحليم من أحمق .

توفي سنة سبع وستين ، سير ٤/٨٦

٣ — الوقوف على تناولهم للأمـــور والانتفاع بتجاربهم ، وتوجيهاتهم .

فأعمال أمثال هؤلاء كثيراً ما تكون تفسيراً للنصوص ، وبخاصة كلما بعدنا الزمان عنهم ، فالمعانى عند الأولين كانت سيالة فى أئمتهم ، تتبدى وتظهر فى مواقفهم وفعالهم .

ذهب رجلان إلى سلمان الفارسى رضى الله عنه ضيوفاً ، فقال لهما : لولا أن رسول الله ﷺ نهانا عن التكلف لتكلفت لكم ، وجاءهما بخبز وملح ، فقال أحد الرجلين : لو كان فى ملحنا صعتر ؟ فبعث سلمان بمطهرته فرهنها فجاء بصعتر ، فلما أكل قال الرجل : الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا . فقال سلمان : « لو قنعت لم تكن مطهرتى مرهونة.[1] فلولا أن سلمان رضى الله عنه رأى نفسه أنه فى مقام المربى لهذين الرجلين لما استطاع أن يجد من نفسه القوة ليعقب على ثناء هذا الضيف على ضعف الزاد .

وكان عبادة بن الصامت رضى الله عنه طوالا جسيما جميلا ، وهو ممن عمر فى الدنيا ، لم يمت إلا بعد أن بلغ الثنتين والسبعين سنة ، ومع هذا ، وفى هذا العمر المتأخر ، كان يقول لأصحابه : ألا ترونى لا أقوم إلا رفدا — أى بمعاونة الغير — ولا آكل إلا ما لوق — أى لين وسخن — ، وقدمات صاحبى منذ زمان — يعنى ذكره — ، وما يسرنى أنى خلوت بامرأة لا تحل لى وأن لى ما تطلع عليه الشمس ، مخافة أن يأتى الشيطان فيحركه ، على أنه

---

(١) سير ١/٥٥١ ، وسلمان هو سابق الفرس إلى الإسلام ، خدم النبى ﷺ وحدث عنه ، وقال فيه رسول الله ﷺ « لقد اتسع من العلم » ، مات رضى الله عنه فى خلافة عثمان بالمدائن سنة ثلاث وستين ، انظر مجمع الزوائد ٩/٣٤٣

لا سمع له ولا بصر[1] .

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن حزم عامله على المدينة ، أن أدق قلمك ، وقارب سطرك ، فإنى أكره أن أخرج من أموال المسلمين ما لا ينتفعون به[2] .

وقال الأزاعى : كان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثاً ، ثم عاقبه ، كراهية أن يعجل فى أول غضبه[3] .

لقد كان صلاح هذا الخليفة الراشد ثمرة طيبة للتربية الإسلامية الصحيحة ، وكان المربون الصالحون له من أمارات التوفيق والرضا على هذه الأمة جمعاء .

لما بعثه أبوه إلى المدينة — يتأدب بها كتب إلى صالح بن كيسان يتعاهده ، فكان صالح يلومه الصلوات ، فأبطأ يوماً عن الصلاة ، فقال : ما حبسك ؟ قال : كانت مرجلتى تسكن شعرى ، فقال : بلغ من تسكين

---

(١) سير ٨/٢ ، وقال محققه رجاله ثقات خلا مالك بن شرحبيل فإنه لم يوثق .

وعبادة بن الصامت الأنصارى أحد النقباء ليلة العقبة ، ومن أعيان البدريين ، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، حدث أنه أنكر بالشام على معاوية شيئاً وقال له لا أساكنك بأرض ، ثم رحل إلى المدينة ، فقال له عمر : ما أقدمك ؟ فأخبره بفعل معاوية ، فقال له : ارحل إلى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها وأمثالك ، فلا إمرة له عليك ،

مات رضى الله عنه بالرملة سنة أربع وثلاثين .

(٢) سير ٥/١٣٢

(٣) السابق .

شعرك أن تؤثره على الصلاة؟ وكتب إلى بذلك إلى والده، فبعث عبد العزيز رسولا إليه، فحلقه حتى حلق شعره[1].

إن أساليب هؤلاء الأعلام وتجاربهم قد بلغ بهم الغاية فى التأثير، والتوجيه النافع، وما لم يكن لنا من تلك التجارب نصيب فإن الخسارة جد عظيمة.

خاتمة فى ذكر أمثلة من توجيهات الأعلام:

كان تميم الدارى أحد صحابة رسول الله ﷺ يقول فى علاج النفس والطبع على الطاعة: خذ من نفسك لدينك ومن دينك لنفسك، حتى يستقيم لك الأمر على عبادة تطيقها[2].

وهذا كلام من خبير يوفر على الإنسان كثيراً من المعاناة، والتى لا تؤمن بغير الاستضاءة بمثل هذه التجارب عواقبها.

---

(١) السابق. وصالح بن كيسان كان جامعاً من الحديث والفقه والمروءة،

مات بعد الأربعين ومائة.

(٢) تاريخ الإسلام ١٨٩/٢. وقال الذهبى: رواه ابن المبارك فى الزهد عن الجزرى.

أسلم تميم الدارى سنة تسع، وقال ابن سعد: كان وفد الدارين عشرة فيهم تميم، والدار بطن من لخم، نزلوا فلسطين.

قال ابن جريج: قال عكرمة: لما أسلم تميم قال: يا رسول الله، إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لى قريتى من بيت لحم. قال: هى لك، وكتب له بها، فجاء تميم إلى عمر بالكتاب بعد أن فتحها عمر فقال: أنا شاهد ذلك فأمضاه. الأموال ٤٣٩، الطبقات الكبرى ٣٤٣/١

ومن كلام سعيد بن المسيب فى صيانة النفس من آثار الظالمين: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم لكيلا تحبط أعمالكم[1].

وهذا الكلام لعمر الحق قول من عليم حريص، لا يصدر إلا من نفس خالصة ولسان صادق، وعقل طويل التجارب.

ومن كلام بشر بن الحافى فى تهذيب النفس وتقويمها: الجوع يصفى الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق[2].

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن، الإمام العلم، عالم أهل المدينة وسيد التابعين فى زمانه، ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر رضى الله عنه. ورأى عمر، وسمع عثمان وعليا، وزيد بن ثابت، وأبا موسى، وسعدا، وعائشة، وأبا هريرة، وابن عباس، وأم سلمة، وخلقا. روى عن على، وسعد، وعثمان، وأبى موسى، وعائشة، وابن عمر، وأبى هريرة، وابن عباس، وعبد الله بن عمرو، وابن المسيب. وزيد بن ثابت، وسراقة بن مالك. كان زوج بنت أبى هريرة، وأعلم الناس بحديثه.

روى عنه خلق منهم عمرو بن دينار، وقتادة، والزهرى، ويحيى ابن سعيد الأنصارى، وعطاء الخراسانى وغيرهم.

من كلامه: ما أيس الشيطان من شىء إلا أتاه من قبل النساء.

مات رضى الله عنه سنة أربع وتسعين. الطبقات الكبرى ١٤٣/٥، حلية الأولياء ١٧٣/٢ سير ٢١٧/٤

(٢) صفة الصفوة ٣٣٢/٢. وبشر بن الحافى هو شيخ الإسلام المحدث الزاهد الربانى القدوة ابن الحارث، كان عديم النظير، كثير الحديث. إلا أنه كان يكره الرواية، ويخاف من شهرة النفس فى ذلك، حتى إنه =

. . . . . .

= دفن كتبه بعد أن ارتحل وحصل وأخذ عن الكثير من الأئمة. فقد أخذ عن مالك، وحماد بن زيد، وشريك وفضل بن عياض، وابن المبارك.

ومع هذا قل ما روى من المسندات. قيل له: ألا تحدث. قال: أنا أشتهي أن أحدث. وإذا اشتهيت شيئا تركته.

توفي رضي الله عنه في ربيع الأول سنة سبع وعشرين ومائتين.

تاريخ بغداد ٦٨/٧، تهذيب تاريخ دمشق ٢٣٤/٣، تاريخ الذهبي، حوادث ٢٢١